# سادساً : قسم
# البلاغة والنقد

# من بلاغة النبي ﷺ
# في رسائله إلى الملوك والأمراء
# " يدعوهم إلى الإسلام "


إعداد الأستاذ الدكتور

**طلعت عبد اللّه بسيوني أبو حلوة**

**أستاذ البلاغة والنقد المساعد**

**في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين**

**جامعة الأزهر/ فرع دسوق**

## الملخص: ( من بلاغة النبي – ﷺ – في رسائله إلى الملوك والأمراء ) " يدعوهم إلى الإسلام "

تعد الرسائل فنًّا أصيلًا من فنون الأدب العربي، حيث كان العرب يعتمدون عليها في نقل ما يودونه إلى غيرهم، وتمثل رسائل النبي – ﷺ – إلى الملوك والأمراء جانبًا مهمًّا من جوانب النثر العربي ؛ لما اشتملت عليه من أسرار بلاغية، ولطائف بيانية، وفوائد ونِكات يصعب استيفاؤها، ويَعِزّ استقصاؤها.

وقد بدأت هذه الدراسة بمقدمة ذكرت فيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهم الصعوبات التي واجهتني فيه، ثم الهيكل الذي جاء البحث في صورته مشتملًا على تلك المقدمة، ثم تمهيد، وفصلين – كل فصل حَوَى أربعة مباحث – وخاتمة.

أما التمهيد فقد تناولت فيه التعريف بهذه الرسائل، ووثاقتها، وموعد إرسالها، وأسماء رسل رسول الله – ﷺ – ومن أُرْسِلوا إليهم من الملوك والأمراء، وردود أفعال هؤلاء الملوك والأمراء المُرْسَل إليهم.

وأما الفصل الأول فهو يشمل رسائل النبي – ﷺ – إلى الملوك، ويحتوي على أربعة مباحث هي كالتالي: المبحثُ الأول:رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّوم.

المبحثُ الثاني:رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُقَوْقِسِ مَلِكِ القِبْطِ.

المبحثُ الثالث:رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى النَّجاشيّ مَلِكِ الحَبَشة.

المبحثُ الرابع: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرْس.

وأما الفصل الثاني فهو يتضمن رسائل النبي – ﷺ – إلى الأمراء، ويحتوي على أربعة مباحث أيضًا هي كالآتي: المبحثُ الأول: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغَسّاني أمير دمشق.

المبحثُ الثاني: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى هَوْذةَ بن عَلِيٍّ الحَنَفيّ أمير اليَمامة.

المبحثُ الثالث: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُنْذِرِ بن ساوى أمير البَحْرَيْن.

المبحثُ الرابع: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ ابْنَي الجُلَنْدى أَمِيرَي عُمان.

وقد وقفت هذه الدراسة مع هذه الرسائل الثماني كلّ واحدة على حدة بالدراسة والتحليل البلاغي والكشف عما انطوت عليه من لطائف وأسرار وفوائد.

وأما الخاتمة فقد سجلت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث، ثم ذيلت هذه الدراسة بثَبَت للمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها، والإفادة منها في هذا البحث.

**Abstract**

**(From the Eloquence of the Prophet in his Messages to the kings and Princes in Which He Invites to Islam )**

**The messages are an authentic art of Arabic literature, where the Arabs relied on them to convey what they would like to others. The messages of the Prophet to the kings and princes are important aspects of Arabic prose because they included rhetorical secrets, beneficial eloquence,remarks that are difficult to complete and investigate.**

**This study began with an introduction in which I mentioned the importance of this subject, the reasons for its selection, previous studies, and the most important difficulties that faced me, and then the format of the research including the introduction, and then the preface, and two chapters.Each chapter contains four topics and a conclusion.**

**The preface is concerned with the definition of these messages, their authenticity, the date of their transmission, the names of the messengers of the Messenger of Allah and the kings and princeswho receive the messages, and the reactions of those kings and princes.**

**The first chapter includes the messages of the Prophet to the kings and contains four topics as follows:**

**The first topic: Message of the Prophet to Caesar king of the Roman.**

**The second topic: The message of the Prophet toAlmoqawqas Coptic King.**

**The third topic: The message of the Prophet toNegashi King of Ethiopia.**

**The fourth topic: Message of the Prophet to the king of Persia.**

**The second chapter contains the messages of the Prophet to the princes, and contains four topics as follows:**

**The first topic: Message of the Prophet to Hath bin Abu ShammerGhassani, Prince of Damascus.**

**The second topic: Message of the Prophet toHawthah bin Ali Alhanafi prince ofAlyamamah.**

**The third topic: Message of the Prophet to Al – Munthir bin Sawi Prince of Bahrain.**

**The fourth topic: Message of the Prophet – – to Jaifer and Abd binAljulandi Prince of Oman.**

**This study analyzed all those eight messages and discussed the implications of the mysteries , secrets , eloquence and benefits of those messages.**

**As for the conclusion, the most important findings and recommendations of the research were recorded. This study was followed up by the sources and references that were used in this study**

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله الرحمن المَنّان، المحمود بكل لسان، والذي لا يشغله شأن عن شان، خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على مَنْ أُوتِيَ جوامع الكَلِم، وأفصح العرب والعجم، وأفضل الخلق بالحقيقة لا المجاز، وأعلمهم بأسرار الكتابة وحقيقة الإعجاز، والمُؤَيَّد بأبلغ اللغات وأفصحها، وأبين العبارات وأوضحها، والمُرْسَل من ربه مُبَشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله الطيّبين النُّجَباء، وأصحابه البَرَرة الفُضَلاء، ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان واهتداء، كلما سال مداد على طِرْس، وأشرقت على بني الغَبْراء شمس.

أمّا بعـــــد

فمما لا ريب فيه أن الفصاحة والبلاغة من أقوى الدعائم التي تقوم عليها الرسالات، ومن أهم الوسائل التي يتحقق بها البلاغ، ولقد كان النبي – ﷺ – آية في فصاحة القول، وبلاغة البيان، وقوة العارضة، فكان أفصح العرب وأبلغهم قاطبة دون منازع، ومثالًا يُحْتَذى به بين قوم يقدسون البيان ويعظمونه، حيث تحقق له كمال البيان، وتمام آلة الفصاحة التي امتنّ الله – ﷻ – بها عليه ؛ لكي يستطيع أن يخاطب كل قوم بلحنهم، ويُبَلِّغَ رسالته للناس جميعًا على أحسن ما يكون التبليغ وأكمله.

وبعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وتكامل نظامها، وبعد صلح الحديبية الذي كان بين النبي – ﷺ – ومن معه من الصحابة وبين قريش، والذي كان في العام السادس من الهجرة النبوية، والذي ينص على الهُدْنة بين الطرفين، ووقف الحرب لمدة عشر سنوات، وبعد القضاء على آخر وكر من أوكار اليهود في خيبر الذي كانوا قد تجمعوا فيه، وباضوا وأفرخوا، وجد النبي – ﷺ – أن الفرصة قد سنحت، والوقت قد حان لأن تأخذ الدعوة الإسلامية طريق عالميتها تطبيقيًّا إلى العالم الخارجي، سواء أكان ذلك إلى أطراف شبه الجزيرة أو بَعُدَ عنها، فأخذ يرسل رسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، فقد روى أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – " كَتَبَ إِلَى كِسْرى، وإلى قَيْصَرَ،

وإلى النَّجاشِيِّ، وإلى كُلِّ جَبّارٍ يَدْعُوهُمْ إلى اللهِ تَعالى " [1]، وبهذا يعتبر الرسول أول من مارس إرسال الكتب والرسائل إلى ملوك الدول الأجنبية، وأسس لديوان الرسائل والمكاتبات في الإسلام [2].

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن رسائل النبي – ﷺ – إلى الملوك والأمراء تُمَثِّل جانبًا مهمًّا وبديعًا من جوانب النثر العربي ؛ لما اشتملت عليه من أسرار بلاغية يَعِزّ استقصاؤها، ولطائف بيانية يصعب استيفاؤها، ورموز ودفائن يستحيل حصرها، وفروق دلالية وأسلوبية يَدِقُّ استنتاجها واستخراجها، ونِكات وفوائد وعوائد يشقّ الإحاطة بها، كما تعد ذات مغزى كبير ؛ لأنها تؤرخ لفترة تاريخية مهمة من عمر الدعوة الإسلامية ؛ إذ ترتب عليها انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية.

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ما وجدته في هذه الرسائل من بلاغة عالية جمعت بين فصاحة الألفاظ، وبلاغة التركيب، وإيجاز العبارة، وإصابة المعنى.

ومما دفعني إلى اختياره أيضًا ما وجدته فيها كذلك من تشابه واختلاف في صياغة أساليبها، مع اليقين بأن هذا ما وُجِدَ إلا لغرض طلبه واقتضاه، وسياق نادى به واستدعاه.

هذا بالإضافة إلى ما تَضَمَّنَتْه من دروس وعبر وحكم وإرشادات ترسم منهجًا واضحًا في كيفية الدعوة إلى الإسلام، وخطاب الآخَر به.

وبالبحث والتفتيش عن الدراسات التي تناولت هذه الرسائل وجدت بحثين هما:

١ – رسائل الرسول – ﷺ – إلى الملوك والأمراء / د/ محمد عمر شاهين[3]، وهي دراسة وصفية تاريخية تناول فيها هذه الرسائل الثماني من حيث مادتها،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / كتاب الجهاد والسِّيَر / باب كتب النبي - ﷺ - إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام / رقم: ١٧٧٤ / ١٢ / ١١٢ / النووي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الثانية / ١٣٩٢ هـ.

(٢) صبح الأعشى: ١ / ٩١ / القلقشندي / دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢م، القانون الدبلوماسي القنصلي في الإسلام: ١١٦، ١٥١ / د / أحمد أبو الوفا / مكتبة الرشد / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.

(٣) بحث منشور في مجلة آداب الرافدين / جامعة الموصل / العدد: ٥٤ / سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

ومضمونها، وتاريخ كتابتها، والجلد والخط المستخدمين في ذلك، والختم الذي خُتِمَتْ به، وردود أفعال الملوك والأمراء الذين أُرْسِلَتْ إليهم، مع الإلمام بشيء من تاريخ هؤلاء الملوك والأمراء.

٢ – رسائل الرسول – ﷺ – إلى ملوك الدول المجاورة ( النَّجاشيّ – هِرَقْل – كِسْرى ) / نور العبد [١]، وهي دراسة وصفية تاريخية أيضًا، تناولت فيها ثلاث رسائل فقط، وهي رسائل النبي – ﷺ – إلى كلٍّ من هِرَقْل والنَّجاشيّ وكسرى، أَلَمَّتْ فيها الباحثة بشيء من حياة هؤلاء الملوك والسفراء الذين أرسلوا إليهم، ومضمون تلك الرسائل، وحجمها، والختم الذي خُتِمَتْ به، والأدوات المستخدمة في كتابتها، وردود أفعال أصحابها، وهذه الدراسة – كما ترى – شبيهة جدًّا بالدراسة السابقة.

ومن هنا أخذت أسأل نفسي قائلًا: لماذا لم تَحْظَ هذه الرسائل بدراسة بلاغية تحليلية تميط اللثام عما انطوت عليه من الأسرار واللطائف والدفائن، وتُجَلِّي ما اشتملت عليه من النِّكات والبدائع والفوائد، وتُظْهِر ما بينها من فروق أسلوبية ودلالية تختلف باختلاف حال المخاطب ومقامه ؟

وقد واجهتني في هذا البحث عدة صعوبات كادت أن تثنيني عنه لولا عون الله وتوفيقه، ومن هذه الصعوبات سكوت كتب الحديث وشروحه عن هذه الرسائل باستثناء الرسالة الموجَّهة إلى هِرَقْل مَلِك الرُّوم، الأمر الذي قد يقلق الباحث في بداية الأمر تجاه وثاقة هذه الرسائل، ولكن بعد أن اطلعت على ما اطلعت عليه من مصادر توثيقها – ولا سيما الدراسة التي قام بها الدكتور / محمد حميد الله بعنوان " مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة " – اطمأن قلبي إلى وثاقتها وأصالتها، وواصلت بحثها ودراستها.

ومن هذه الصعوبات أيضًا قلة المصادر التي تناولتها بالشرح والبيان اللهم إلا الرسالة الموجَّهة إلى هِرَقْل مَلِك الرُّوم، حيث أخرجها كلٌّ من البخاري ومسلم في صحيحيهما، وشرحها شُرّاحهما.

هذا بالإضافة إلى ما تطلبته طبيعة هذا البحث من معرفة بطبيعة صفات وخصائص كل شخصيّة من شخصيّات الملوك والأمراء الذين أُرْسِلَتْ إليهم تلك الرسائل ؛ لكي تتضح أسباب الفروق الأسلوبية المبثوثة في تضاعيفها.

(١) بحث منشور في مجلة جامعة البعث / سورية / المجلد: ٣٩ / العدد: ٤١ / سنة ٢٠١٧م.

هذا، وقد اقتضت طبيعة ذلك البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد: وفصلين – كل فصل يحوي أربعة مباحث – وخاتمة.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهم الصعوبات التي واجهتني فيه، ثم الهيكل الذي جاء البحث في صورته.

وأما التمهيد فقد تناولت فيه التعريف بهذه الرسائل، ووثاقتها، وموعد إرسالها، وأسماء رسل رسول الله – ﷺ– ومن أُرْسِلوا إليهم من الملوك والأمراء، وردود أفعال هؤلاء الملوك والأمراء المُرْسَل إليهم.

وأما الفصل الأول فهو يشمل رسائل النبي – ﷺ – إلى الملوك، ويحتوي على أربعة مباحث هي كالتالي:

المبحثُ الأول:رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ.

المبحثُ الثاني:رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُقَوْقِسِ مَلِكِ القِبْطِ.

المبحثُ الثالث:رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى النَّجاشيّ مَلِكِ الحَبَشة.

المبحثُ الرابع: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرْس.

وأما الفصل الثاني فهو يتضمن رسائل النبي – ﷺ – إلى الأمراء، ويحتوي على أربعة مباحث أيضًا هي كالآتي:

المبحثُ الأول: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغَسّاني أمير دمشق.

المبحثُ الثاني: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى هَوْذةَ بن عَلِيٍّ الحَنَفيّ أمير اليَمامة.

المبحثُ الثالث: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُنْذِرِ بن ساوى أمير البَحْرَيْنِ.

المبحثُ الرابع: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ ابْنَي الجُلَنْدى أَمِيرَي عُمان.

وقد وقفت هذه الدراسة مع هذه الرسائل الثماني كلّ واحدة على حدة بالدراسة والتحليل البلاغي والكشف عما انطوت عليه من لطائف وأسرار ودفائن وفوائد.

وأما الخاتمة فقد سجلت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث، ثم ذيلت هذه الدراسة بثَبَت للمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها، والإفادة منها في هذا البحث.

وما كان في ذلك البحث من توفيق وسداد وصواب فمن الله – ﷻ – وحده، وما كان من خلل أو خطأ أو نسيان فمن نفسي، وذلك من سِيَم البشر غير المعصوم ؛ لأن الكمال لا يكون إلا لله ﷻ، والعصمة لا تكون إلا لنبي، ولكن حسبي أني أخلصت النية، واجتهدت داعيًا الله ألا يحرمني أجر المجتهد أصاب أو أخطأ، وأن يرزق هذا العمل القبول والاستحسان في الدارين، وأن تُقالَ عثراته، ويُغَضَّ الطرف عن هفواته، ولله دَرُّ عليّ بن الجَهْم حيث قال:

وَمَن ذا الَّذِي تُرْضَى سَجاياهُ كُلُّها  كَفى المَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعايِبُهْ [1]

(١) ديوان علي بن الجهم: ١١٨ / من بحر الطويل / تحقيق: خليل مردم بك / دار الآفاق الجديدة / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

## التمهيد

**ويشتمل على خمس نقاط هي:**

### أ – التعريف بالرسائل موضوع البحث:

**الرسالة لغة: الكتاب، وقد تطلق بمعنى الرسول، وسُمِّي الرسول رسولًا ؛ لأنه ذو رسالة، يقال: راسَله مراسلة فهو مُراسِل ورَسِيل، وأرسله في رسالة فهو مُرْسَل ورسول، وجمع رسالة: رسائل، والرسول: اسم للمُرْسَل وللرسالة. (١)**

**واصطلاحًا: هي المعاني التي تنقل إلى العقل المدرك من خلال رموز لغوية، أو وسائل توصيلية أخرى (٢)، وذكر الدكتور / جابر قميحة أنها " المكتوب الذي يتعلق في مضمونه بأكثر من طرف " (٣)، كما ذكر أنها تستعمل بمعنى الكتاب، ولكنها تفترق عنه في أن الكتاب لا يكون إلا مكتوبًا، أما الرسالة فتكون مكتوبة كما تكون شفاهة(٤)، فهي نص نثري يوجه إلى إنسان مخصوص أو جماعة.**

**والمقصود بالرسائل موضوع البحث هي تلك الرسائل النبوية التي أرسلها النبي – ﷺ – إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام تنفيذًا لتوجيه الوحي الإلهي الذي أخبر الله – ﷻ – به نبيه – ﷺ –في مكة المكرمة في قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٥)، وقوله – تعالى –: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٦)، وقوله – تعالى –: ﴿ تَبَارَكَ**

---

(١) مختار الصحاح: الرازي / تحقيق: يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة: الخامسة / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م،لسان العرب / ابن منظور / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية /١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.مادة: رسل.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١٧٧ / مجدي وهبة، كامل المهندس / مكتبة لبنان / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٩٨٤م.

(٣) أدب الرسائل في صدر الإسلام: ١١ / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

(٤) السابق: ١٠.

(٥) الأعراف: ١٥٨.

(٦) الأنبياء: ١٠٧.

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١)، وقوله – تعالى –: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢).

**ب – وثاقتها:**

لقد أفاضت المراجع العربية بالحديث عن هذه الرسائل، حتى لا يكاد يخلو كتاب في التاريخ الإسلامي عمومًا أو السيرة النبوية خصوصًا من ذكرها كلها، أو بعضها مع الإشارة إلى البعض الآخر بداية من ابن إسحاق وابن هشام، ومرورًا بالطبري والبيهقي وابن الجوزي وابن الأثير وابن سيد الناس وابن القيم والزَّيْلَعيّ وابن كثير وابن حُدَيْدة والقلقشندي والقسطلاني، وانتهاء بابن طولون الدمشقي والحلبي، حتى أصبحت خبرًا مستفيضًا تلقته الأمة بالقبول.

لكن رغم هذه الاستفاضة التي تشبه التواتر فقد وُجِدَ من المستشرقين، بل وممن عميت بصائرهم من العرب من شَكَّكَ في وثاقة هذه الرسائل وأصالتها معتمدين على مزاعم واهية قائمة على الحَدْس والتخمين بحيث لا يقبلها أو يستسيغها أولو الألباب والنُّهى، ومن تلك المزاعم الباطلة أن دعوة النبي – ﷺ –كانت وثيقة الصلة بالعرب، وأن مكاتبته لهؤلاء الملوك والأمراء قد تثير عداءهم لدولة الإسلام، وأن هذه الرسائل لم تتضمن دعوة إلى الإسلام، إلى آخر تُرّهاتهم وتخرصاتهم (٣).

وقد غفل هؤلاء أو تغافلوا، وجهلوا أو تجاهلوا أن رسالة النبي – ﷺ – عالمية، وليست عربية فقط أو إقليمية، وأنه حينما خاطب هؤلاء الملوك والأمراء لم يخاطبهم من منطلق أنه محمد الإنسان العادي، وإنما خاطبهم من منطلق أنه

(١) الفرقان: ١.
(٢) سبأ: ٢٨.
(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي: ١ / ٥٢٢ / د / أحمد شلبي / مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الرابعة عشرة / ١٩٩٦م، المسلمون والروم في عصر النبوة: ٨٠ - ٨٣ / د / عبد الرحمن أحمد سالم / دار الفكر العربي / القاهرة / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، دولة الرسول - ﷺ – في المدينة: ٣٢١ - ٣٢٦ / د / صالح أحمد العلي / شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.

**محمد النبي المعصوم الذي صنعه الله – ﷻ – بعينه، وأمره بتبليغ وحيه إلى الناس.**

**والشك مبدأ مقرر في أصول البحث العلمي إن ظهرت دواعيه،وبه يُهْتَدى إلى اليقين، لكن أن يكون الشك من أجل الشك فتلك هي البليّة العظمى والداء العُضال، وقام الدكتور / محمد حميد الله بكتابه النفيس " مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة " بدراسة وثائقية لهذه الرسائل، والبحث عن أصولها وما تم اكتشافه منها، وفي هذه الدراسة – وغيرها كثير – ما يكفي للاطمئنان لصحة هذه الرسائل ووثاقتها، يقول الدكتور / عبد الرحمن أحمد سالم: " ولم نجد سببًا من المنطق أو التاريخ يدعونا للتشكيك في الوثاقة التاريخية لهذه الكتب " [(١)]، إذن فهذه الرسائل" في مجملها مُوَثَّقة توثيقًا يرفعها إلى مستوى المسلمات التاريخية والحقائق الأثريّة التي لا تقبل الريب " [(٢)].**

**ج – موعد إرسالها:**

**لقد اختلف المؤرخون وكتاب السيرة النبوية في تحديد الموعد الذي تم فيه إرسال هذه الرسائل، ومجمل هذا الاختلاف يتلخص في ثلاثة آراء، وذلك على النحو التالي:**

**الرأي الأول: وذلك ما عليه أغلب المؤرخين، وهؤلاء يذكرون أن هذه الرسائل أُرْسِلَتْ في شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة النبوية، وممن قال بهذا الرأي محمد بن جرير الطبري [(٣)]، وابن الأثير [(٤)]، وابن حجر العسقلاني[(٥)]، والمباركفوري [(٦)].**

---

(١) المسلمون والروم في عصر النبوة: ٨٠.

(٢) عالمية الإسلام ورسائل النبي - ﷺ- إلى الملوك والأمراء: ٩١ / د / عبد الوهاب طويلة، د / محمد حلواني / دار القلم / دمشق / بدون تاريخ.

(٣) تاريخ الطبري: ٢ / ٦٤٤ / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ.

(٤) الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٥ / تحقيق: عبد الله القاضي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

(٥) فتح الباري: ١ / ٣٨ / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب / دار المعرفة / القاهرة / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.

(٦) الرحيق المختوم: ٣٢٠ / دار إحياء التراث / بدون تاريخ.

**الرأي الثاني: ويرى البعض أن ذلك كان سنة سبع من الهجرة، وممن قال بذلك ابن سعد [١]، البَلاذُري [٢]، المنصور فوري [٣].**

**الرأي الثالث: ويرى الذهبي أن ذلك كان سنة ثمان من الهجرة [٤]، وحكى ذلك عن غيره ابن الأثير بصيغة التمريض [٥].**

**وأرى – والله أعلم – أن الأقرب إلى الصواب أن يكون الرسول بدأ بإرسال هذه الكتب بعد عقد صلح الحديبية بوقت قصير.**

**د – أسماء رُسُلِ رسولِ اللهِ – ﷺ – ومَنْ أُرْسِلوا إليهم من الملوك والأمراء:**

**لقد ذكر ابن هشام أسماء هؤلاء الرُّسُل، وأولئك الملوك والأمراء الذين أُرْسِلوا إليهم، وذلك على النحو التالي:**

**١ – دِحْية بن خليفةَ الكلبيّ إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ.**

**٢ – حاطب بن أبي بَلْتَعة إلى المُقَوْقِس مَلِك مصر.**

**٣ – عمرو بن أُمَيّةَ الضَّمْريّ إلى النَّجاشيّ مَلِك الحبشة.**

**٤ – عبد الله بن خُذافةَ السَّهْميّ إلى كسرى مَلِك الفرس.**

**٥ – شُجاع بن وَهْب إلى الحارث بن أبي شِمْر الغَسّانيّ أمير دمشق.**

**٦ – سَليط بن عمرو إلى هَوْذةَ بن علي الحَنَفيّ أمير اليمامة.**

**٧ – العَلاء بن الحَضْرَميّ إلى المُنْذِر بن ساوَى أمير البحرين.**

**٨ – عمرو بن العاص إلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ ابني الجُلَنْدى أميري عُمان [٦].**

---

(١) الطبقات الكبرى: ١ / ١٩٨ / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

(٢) أنساب الأشراف: ١ / ٥٣١ / تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي / دار الفكر / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

(٣) رحمةً للعالمين: ١٤٢ / ترجمة: د / سمير عبد الحميد إبراهيم / دار السلام / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / بدون تاريخ.

(٤) تاريخ الإسلام: ١ / ٥٠١ / تحقيق: د / عمر عبد السلام تَدْمُري / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

(٥) الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٥.

(٦) السيرة النبوية: ٤ / ٢٥٣، ٢٥٤ / ابن هشام / تحقيق: د / عمر عبد السلام تَدْمُري / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، وينظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٦٤٤، =

**هـ – ردود أفعال الملوك والأمراء المُرْسَل إليهم:**

**لقد اختلفت ردود هؤلاء الملوك وتلك الأمراء، فمنهم من أسلم، ومنهم من أبى ورفض الدخول في الإسلام، فقد أسلم كلٌّ من النَّجاشيّ مَلِك الحبشة، والمنذر بن ساوى أمير البحرين، وجَيْفَر وعَبْد ابني الجُلَنْدى أميري عُمان، وقد رفض الباقون الدخول في الإسلام، ولكن هؤلاء الرافضين اختلفت ردودهم، فقد أبى كلٌّ من هِرَقْل مَلِك الرُّوم، والمُقَوْقِش مَلِك مصر، ولكن أكرما رسولي رسول الله ﷺ، وأرسلا الهدايا، و هَوْذةَ بن علي الحَنَفيّ أمير اليمامة، واشترط لإسلامه أن يكون له نصيب من الأمر، و الحارث بن أبي شِمْر الغَسّانيّ أمير دمشق، وهدد بغزو المدينة، وكسرى مَلِك الفرس، ومزّق الرسالة !!! [1].**

**وقد وقف النبي – ﷺ – موقفًا سلميًّا أمام جميع هذه الردود، بما فيها ردود الذين أساءوا التصرف، وصدرت منهم حماقات يضيق بها صدر الحليم، الأمر الذي يؤكد سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله ﷻ، ولو كان ما حدث من كِسْرى مع غير رسول الله من بعض الملوك والرؤساء لسُحِبَتْ السُّفَراء، وقُطِعَتْ العلاقات، بل وأُعْلِنَتْ الحرب.**

---

=٦٤٥، الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٥، عيون الأثر: ٢ / ٣٤٤ / ابن سيد الناس / تحقيق: د / محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو / مكتبة دار التراث / المدينة المنورة، دار ابن كثير / دمشق / بيروت / بدون تاريخ، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٦٤ / محمد بن طولون الدمشقي / تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، التاريخ الإسلامي: ٢ / ٣٠٢ / محمود شاكر / المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الثامنة / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

(١) الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٥ - ٩٨، التاريخ الإسلامي: ٢ / ٣٠٢، رسائل الرسول - ﷺ - إلى الملوك والأمراء: ١٤ - ٢٤.

# الفصلُ الأولُ: رسائلُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُلوكِ:

## المبحثُ الأولُ: رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ:

**عن ابن عباس فيما أخبره به أبو سفيان – رضي الله عنهما–: أن النبي –ﷺ– كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه دِحْية الكلبيّ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ؛ ليدفعه إلى قيصر، فإذا فيه:**

**" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسولِهِ، إِلى هِرَقْلَ (١) عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى. أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعايةِ(٢) الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ (٣)، و ﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ**

---

(١) هِرَقْل: ملك الروم. لسان العرب / مادة: هرقل، وهو قيصر الروم، وإمبراطور بيزنطي من أسرة يونانية الأصل، كان يحكم إمبراطورية واسعة. السيرة النبوية / ٢٩١ / أبو الحسن الندوي / دار الشروق / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثامنة / ١٤٠٩ / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(٢) الدِّعاية: مصدر للفعل دعا، يقال: دعا يدعو دعوة ودعاية، بوزن فِعالة، مثل: شِكاية ورِماية. لسان العرب / مادة: دعا.

(٣) الأَرِيسِيِّين:جمع الأريسيّ، وقد اختلف العلماء في معنى هذه الكلمة، فذكر الزمخشري – نقلًا عن ابن الأعرابي - أن الأريس والأريسيّ هو الأكّار، أي الفلّاح، ولكنه ذكر أن المقصود بالأَرِيسِيِّينَ هنا رعية كسرى المجوسيين، وأن النبي -ﷺ- أَعْلَمَ هرقل أنه إن لم يؤمن - وهو من أهل الكتاب – كان عليه إثم المجوس الذين لا كتاب لهم. الفائق في غريب الحديث: ١ / ٣٦ / تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر / بيروت / لبنان / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، وذكر ابن الأثير - نقلًا عن ابن الأعرابي أيضًا – أن الأَرِيسِيِّينَ هم الأكّارون، وذكر كذلك - نقلًا عن أبي عبيد – أنهم هم الخَدَم والخَوَل. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٣٨ / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية / بيروت / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م، وذكر ذلك أيضًا ابن منظور – نقلًا عن الأزهري - وأضاف أن أهل الروم كانوا أهل أثاث وصنعة، وأنهم كانوا يقولون للمجوسيّ: أَريسيّ، نسبوهم إلى الأريس، وهو الأَكّار. تهذيب اللغة / الأزهري / تحقيق: محمد عوض مرعب / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / ٢٠٠١م، لسان العرب / مادة: أرس، ورجّح ابن حجر ذلك التفسير - أي تفسير الأريسيّ بالأَكّار، أي الفلّاح – وذهب أنه هو الصحيح مستدلًّا ببعض الروايات التي صرحت بذلك، منها رواية ابن إسحاق عن الزهري " فإنّ عليكَ إثم الأَكّارين "، ورواية المدائني " فإنّ عليك إثم =

**أَلَّا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) (٢).**

**إن المتأمل في هذه الرسالة – وكذلك كل رسائل النبي –ﷺ– إلى الملوك والأمراء – يجد أنه ابتدأها بجملة البسملة " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" تيمنًا وتبركًا ؛ ولأن ذلك من السنة في المكاتبات والرسائل، حتى الرسائل المُوَجَّهة إلى الكفار (٣)، يقول القسطلاني: " فيه استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإن كان المبعوث إليه كافرًا " (٤)، ولم يبتدئ النبي –ﷺ – بالحمد جريًا على عرف الرسائل وعاداتها، يقول ابن حجر: " لم تجر العادة الشرعية ولا العرفية بابتداء المراسلات بالحمد، وقد جمعت كتبه –ﷺ– إلى الملوك وغيرهم، فلم يقع في واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة " (٥).**

**وقد انطوت هذه الجملة المباركة على العديد من الأسرار البلاغية، واللطائف والفوائد البيانية في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.**

---

=الفلّاحين " والمراد أتباع هِرَقْل وأهل مملكته. فتح الباري: ١ / ٥١، وينظر: السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٢ / علي الحلبي / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٢٧ هـ، وذكر كلٌّ من الأزهري والجوهري أن الأريس والأريسيّ بمعنى الأَكّار من كلام أهل الشام. تهذيب اللغة،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / الطبعة الرابعة / ١٩٩٠م / مادة: أرس.

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) فتح الباري/ كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ/ رقم: ٧ / ١ / ٣٢، وينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / كتاب الجهاد والسِّيَر / باب كُتُبِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام / رقم: ١٧٧٣ / ١٢ / ١٠٣ / بلفظ " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ".

(٣) الرسول المبلغ: ١٠٦ / د / صلاح عبد الفتاح الخالدي / دار القلم / دمشق / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

(٤) إرشاد الساري: ١ / ٧٩ / المطبعة الكبرى الأميرية / بولاق / مصر / الطبعة السابعة / ١٣٢٣ هـ.

(٥) لقد نقل هذا النص الزرقاني عن ابن حجر في فتح الباري، ولم أعثر عليه عند ابن حجر. شرح المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ١٤ / تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

**ففيها إيجاز بالحذف، وذلك بحذف متعلق الجار والمجرور لكثرة الاستعمال، ولفهمه من السياق، ولتذهب نفس المتلقي في تقديره كل مذهب ممكن في المقام، والتقدير: بسم الله أكتب ؛ وذلك لأن الكتابة هي الأمر الذي جُعِلَت التسمية مبدأ له، وقُدِّرَ المتعلق هنا مضارعًا للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري.**

**وفيها قصر بتقديم ما حقه التأخير،حيث قُدِّرَ الفعل المضارع المحذوف مُؤَخَّرًا عن الجار والمجرور لإفادة التخصيص، أي باسم الله أكتب لا باسم غيره، فقصرت الكتابة على كونها باسم الله – ﷻ – وحده، يقول أبو السعود: " وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص "** (١).

**وفيها استعارة تصريحية تبعية ؛ لأن الأصل في معنى الباء هو الدلالة على الإلصاق حقيقة أو مجازًا، ولكنها هنا للدلالة على التبرك والتيمّن والاستعانة، فشبه التبرك والتيمّن والاستعانة بالإلصاق، واستعيرت الباء من جزئيات المشبه به لجزئيّ من جزئيات المشبه، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الحروف.**

**ولفظ " اسم " يحتمل أن يكون زائدًا للفرق بين اليمين والتبرّك، إذ لو قيل: " بالله " لاحتمل الأسلوب أن يكون يمينًا وأن يكون تبرّكًا وتيمّنًا** (٢)**، وفي ذلك ضرب من الإطناب، ويحتمل أن يكون غير زائد، ويكون تعريفه بإضافته للفظ الجلالة " الله " للإغناء عن تفصيل المتعذر؛ لأن أسماء الله – ﷻ – الحسنى لا تتناهى، أو للإغناء عن تفصيل المتعسر بناء على كثرة هذه الأسماء مع تناهيها، وعلى كلٍّ فبناء على عدم زيادته يكون في التركيب إيجاز قصر بتكثير المعاني وتقليل الألفاظ.**

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١ / ٩ / دار إحياء التراث العربي / بيروت/ بدون تاريخ.

(٢) السابق نفسه.

وعبر النبي –ﷺ– بلفظ الجلالة " الله " دون سواه من الأسماء الحسنى ؛ لكونه أشهرها استعمالًا، وأكثرها على الألسنة دورانًا، ولكونه مستجمعًا لجميع صفات الجمال والجلال والكمال، فهو العَلَم على الذات العليّة واجب الوجود ﷻ.

وفي وصف " الله " – ﷻ – بـ " الرحمن الرحيم " دلالة على المدح والثناء، وبناء على ذلك يجوز في هذا الوصف القطع، والتقدير " هو الرحمن الرحيم " ؛ لأن النعوت إذا كان المقصود بها المدح جاز قطعها للدلالة على تعيين المنعوت بدونها، وأن الإتيان بها لمجرد المدح، وبناء على هذا القطع يكون معنا في البسملة جملتان لا جملة واحدة، وترك العطف بينهما لعدم قصد إعطاء الحكم الأول " أكتب باسم الله " للثانية التي هي جملة القطع، لأن المقصود من الأولى ملابسة الكتابة للتيمن والتبرك، ومن الثانية مدح الله – ﷻ – بكونه رحمانًا رحيمًا، هذا ولا يخفى ما ينطوي عليه قطع النعت عن منعوته من عنصر المفاجأة في الأسلوب التي تلفت انتباه المتلقي، وتجذب تفكيره.

وفي التعبير بهذين الوصفين " الرحمن الرحيم: مجاز مرسل بعلاقة السببية ؛ لأنهما مشتقان من الرحمة التي أصلها رقة القلب المقتضية للتفضّل والإنعام، فذكر السبب وهو الرحمة، وأريد المسبب وهو التفضل والإنعام، أو أن ذلك التعبير على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، بأن شبه التفضل والإنعام بالرحمة بجامع ترتّب الانتفاع والسرور على كلٍّ، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به، واشتق منه بمعنى التفضل والإنعام " الرحمن الرحيم " [(١)]، ويحتمل أن يكون الوصف بهما كناية عن التفضّل والإنعام، وامتنع هنا أن يصح معها المعنى الحقيقي – الذي هو رقة القلب – لاستحالة جواز هذا المعنى في حق الله ﷻ.

وفي التعبير بهذين الوصفين أيضًا تورية، إذ الرحمة هنا لها معنيان: معنى قريب، وهو رقة القلب، وهو غير مراد، ومعنى بعيد، وهو التفضّل والإنعام

(١) الرسالة الكبرى في البسملة / ١٠٧ / محمد علي الصبان / تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، حبيب يحيي المير / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

والتكرم والإحسان، وهو المراد، والقرينة هنا هي استحالة المعنى القريب على الله ﷻ.

وجاء بناؤهما على وزني المبالغة – رحمن على وزن فعلان، ورحيم على وزن فعيل – للدلالة على الكثرة، أي باسم الله كثير الرحمة التي وسعت كل شيء فلا يأس من روح الله – ﷻ – ورحمته.

وقُدِّمَ لفظ " الرحمن " على لفظ " الرحيم " ؛ لأن " الرحمن " أبلغ من " الرحيم " في الدلالة على الرحمة، لشمول الرحمة المستفادة من " الرحمن " للدنيا والآخرة، واختصاص الرحمة المستفادة من " الرحيم " بالدنيا، هذا بالإضافة إلى أن اختصاص " الرحمن " بالله – ﷻ – وتنزيله منزلة العَلَم مما يجعله قمينًا بالتقديم ؛ ليُقْرَن بلفظ الجلالة، بخلاف " الرحيم " فلا يختص بالله ﷻ، ولا يُنَزَّل منزلة العَلَم [1].

واختير هذان الوصفان دون غيرهما من صفات الله – ﷻ – العليا " للإشارة الواضحة التامة إلى غلبة جانب الرحمة لطفًا بالعباد " [2]، رزقنا الله – ﷻ – رحمته ولطفه في الدنيا والآخرة.

وترك العطف هنا بين هذين الوصفين " الرحمن الرحيم " ؛ لأن المقصود هو الوصف بهما مجتمعين، وكأن هذين الوصفين قد تلاقيا واجتمعا وشكّلا وصفًا واحدًا، وهذا أبلغ في المدح، وذلك سرٌّ لطيف ودقيق.

وفي هذه الجملة المباركة أيضًا التفات على مذهب السكاكي – وذلك بالاكتفاء بمجرد مخالفة مقتضى الظاهر، وعدم اشتراط سبق التعبير بطريق آخر

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١ /١١، الرسالة الكبرى في البسملة: ١١٠، ١١٣.
(٢) الرسالة الكبرى في البسملة: ١٢٤.

– لأن مقتضى الظاهر في التوجه إلى الله – ﷻ –بالخطاب أن يقال: باسمك اللهم.

وفيها كذلك إدماج، حيث ضُمِّنَ الكلام المسوق لغرض غرضًا آخر، فالغرض الأصلي من البسملة هو التيمّن والتبرك باسمه – ﷻ – وأدمج في ذلك غرض آخر، وهو الثناء على الله – ﷻ – بكونه رحمانًا رحيمًا (١).

وبعد أن استفتح النبي –ﷺ– رسالته هذه بتلك الجملة المباركة أتبعها بالنص على اسم كلٍّ من المُرْسِل وصفته والمُرْسَل إليه أيضًا وصفته كذلك فقال:" مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسُولِهِ، إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ " ؛ " لأن الأصل في العنوان الإخبار عن اسمي الكاتب والمكتوب إليه حتى لا يكون الكتاب مجهولًا " (٢).

وبدأ بنفسه باعتباره مُرْسِلًا ثم بهرقل باعتباره مُرْسَلًا إليه ؛ لأن الأصل في الرسائل " أن يُبْتَدأ باسم الكاتب، ثم يُثَنَّى باسم المكتوب إليه " (٣)، ولأن " نفوذ الكتاب من المكتوب عنه إلى المكتوب إليه كنشء الشيء وخروجه من ابتداء إلى نهاية، فابتداؤه من المكتوب عنه، وانتهاؤه إلى المكتوب إليه " (٤)، ف " من " هنا لابتداء الغاية، و " إلى " للانتهاء، أي أن هذا الكتاب صدر ابتداء من المُرْسِل، وهو النبي محمد ﷺ، وسيصل انتهاء إلى هرقل عظيم الروم، وهو المُرْسَل إليه.

وجاء باسمه " محمد " مجردًا من الألقاب تواضعًا، وهو إمام النبيين، وخاتم المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وذلك إشارة منه للدعاة أن يتواضعوا، ويخفضوا أجنحتهم لمن يدعونه ؛ لأن الداعي كالطبيب للمدعوّ، يتودد إليه، ويتلطف معه.

---

(١) ينظر في بلاغة جملة البسملة: حاشية المنياوي على شرح حلية اللب المصون: ٣ - ٦ / مخلوف المنياوي / مطبعة الحلبي / ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.

(٢) مواد البيان: ٣٣٠ / علي بن خلف الكاتب / تحقيق: د / حاتم صالح الضامن / دار البشائر / دمشق / سورية / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

(٣) مواد البيان: ٣٣١، وينظر:صبح الأعشى: ٦ / ٣٦٦.

(٤) القانون الدبلوماسي القنصلي في الإسلام: ١١٩.

ثم وصف النبي – ﷺ – نفسه بوصف هو غاية في المدح والثناء، ونهاية في الفخر والاعتزاز، وهو " عبد الله " ؛ لأن العبودية لله – ﷻ – هي مفتاح كل فضل وإنعام، وباب كل كرم وإحسان، حيث إن العبودية لله – ﷻ – تقتضي أن يأخذ العبد خير سيده، وذلك بخلاف العبودية للبشر، فإنها تقتضي أن يأخذ السيد فيها خير عبده، ولله درّ القائل:

حَسْبُ نَفْسي عِزًّا بِأَنّيَ عَبْدٌ يَحْتَفي بي بِلا مَواعيدَ رَبُّ
هُوَ في قُدْسِهِ الأَعَزُّ وَلَكِنْ أَنا أَلْقى مَتى وأَيْنَ أُحِبُّ [1]

وفي الوصف بالعبودية هنا أيضًا تعريض بالنصارى، حيث قالوا: المسيح ابن الله، تعالى الله – ﷻ – عن ذلك علوًّا كبيرا، يقول القسطلاني: " وَصَفَ نفسه الشريفة بالعبودية تعريضًا لبطلان قول النصارى في المسيح أنه ابن الله ؛ لأن الرسل مستوون في أنهم عباد الله " [2].

وفي إضافة " عبد " إلى لفظ الجلالة " الله " – وكذلك في إضافة " رسول " إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة – ضرب من التعظيم والتفخيم والتشريف والتكريم لا يكتنه كنهه.

ثم عطف النبي – ﷺ – على الوصف بالعبودية الوصف بالرسالة في قوله: " ورسوله "، وقدم العبودية على الرسالة ترقيًا من الأدنى إلى الأعلى [3]، وفي هذا الوصف بيان لصفة شخص النبي، وهي أنه رسول من الله – ﷻ – إلى عباده ؛ ليبلغهم هذا الدين، ويدعوهم إلى عبادة الله – ﷻ – وحده دون سواه من الآلهة الباطلة المزعومة.

وكما ذكر النبي – ﷺ – نفسه باسمه وصفته باعتباره مُرْسِلًا ذكر كذلك المُرْسَل إليه باسمه وصفته بقوله " إِلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ "، وجاء التعبير هنا بحرف الجر " إلى " دون اللام ؛ لأن الرسالة إليه لا له، إلا على سبيل التجوز،

(١) لم أعثر على قائلهما، وهما موجودان في تفسير الشعراوي: ٢ / ١٢٣٧ / من بحر الخفيف / محمد متولي الشعراوي / مطابع أخبار اليوم / ١٩٩٧م.

(٢) إرشاد الساري: ١ / ٧٩، وينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٦.

(٣) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١ / الكرماني / دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

يقول النووي: " وأما العنوان فالصواب أن يكتب عليه إلى فلان، ولا يكتب لفلان ؛ لأنه إليه لا له إلا على مجاز " (١).

وقد وصف النبي – ﷺ – هِرَقْل باللقب الذي يرضي غروره " عظيم الروم " تحبّبًا في الخطاب، وتأليفًا لقلب المخاطب، وملاطفة له، وسلًّا لما يكون في قلبه من إحن وضغائن، واستمالة لفؤاده إلى ما يدعوه إليه، ولأنه قد أمر بتليين القول لمن يدعوه إلى الإسلام، هذا بالإضافة إلى أن الروم كانوا يعظمونه لما حققه لهم من انتصارات (٢)،ولم يلقّبه بالمُلْك أو الإمارة"، فلم يقل: " إلى ملك الروم " أو " إلى أمير الروم "، وعدل عن ذلك ؛ لأنه معزول عن ذلك بحكم الإسلام الذي جعل الناس كلهم تبعًا لرسول الله ﷺ، ولم يُخْلِه من الإكرام بالتلقيب تأليفًا له، واستمالة لقلبه (٣).

وبعد أن أتى النبي – ﷺ – بجملة البسملة تيمنًا وتبرّكًا، وشفعها بالنص على اسم كلٍّ من المُرْسِل والمُرْسَل إليه وصفته جاء بجملة التحية الافتتاحية العامة في مخاطبة غير المسلمين " سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى " ترغيبًا لهرقل في اعتناق الإسلام الذي هو دين السلام والأمان، يقول القلقشندي: " وكان – ﷺ – يأتي في صدور كتبه بالسلام، فيقول في خطاب المسلم: " سلام عليك "... وفي خطاب الكافر " سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى " (٤).

فإن قال قائل: كيف يبدأ النبي – ﷺ – هِرَقْل بالسلام وهو كافر ؟ فالجواب أنه ليس المراد هنا السلام بمعنى التحية المعروفة بين المسلمين، وإنما المراد

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٢ / ١٠٨.
(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١، أضواء على البلاغة النبوية: ٣١ / د / إبراهيم طه الجعلي / مكتبة الرشد / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٢ / ١٠٨، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١، فتح الباري: ١ / ٣٨، إرشاد الساري: ١ / ٧٩، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤١ / القسطلاني / المكتبة التوفيقية / القاهرة / بدون تاريخ.
(٤) صبح الأعشى: ٦ / ٣٦٦.

السلام بمعنى السلامة من عذاب الله – ﷻ – لمن أسلم، واتبع هدى الله الذي أرسل به نبيّه [1]، ولعل مما يؤيد ذلك ويؤكده عدول النبي – ﷺ – عن أن يقول لهرقل مثلًا: " سلام عليك " ؛ لأنه هنا يقرر مبدأً عامًّا وقاعدة كلية، هي أن السلام بمعنى الأمن والسلامة والنجاة والبراءة والخلاص من الشرور والآثام لا يكون إلا لمن آمن بالله – ﷻ – وحده، واتبع هداه، إذ الكافر لا سلامة له [2].

وفي لفظة " سلام " دعاء وإيناس وأمان للمخاطب، فهو يوحي بأن صاحب الرسالة – ﷺ – يتمنى للمدعوّ إلى الإسلام حياة آمنة بعيدة عن الحروب وويلاتها، الأمر الذي يغريه بالتعرف على الدعوة، والاستجابة للداعي.

وفي التعبير بحرف الجر " على " دلالة على فوقية مصدر السلام وعلوه، فالسلام بمعنى الأمن والنجاة والخلوص والفوز والسلامة ينزل على العبد من اللهﷻ، وفيه أيضًا دلالة التمكن، أي أن سلامة من اتبع الهدى أَمْرٌ ثابت ومقرر بحيث لا يساوره ريب، ولا يداخله شك.

وفي استخدام الاسم الموصول " من " دلالة على العموم والشمول، أي أن هذا السلام بذلك المعنى يعمّ ويشمل كل من يتّبع الهدى ذكرًا كان أو أنثى، مفردًا كان أو مثنى أو جمعًا، عربيًّا كان أو غير عربي.

وفي التقييد بجملة الصلة " اتَّبَعَ الهُدى" احتراس حتى لا يتوهم البعض أن السلام بمعنى الدعاء والإيناس والأمان لكل مخاطب، وإنما ذلك فقط لمن اتبع هدى الله – ﷻ – عملًا، وآمن به عقيدة، " وفي هذا إغراء للمخاطب باتباع الهدى ؛ ليكون من بين أهل السلام والبراءة والخلاص من الشرور والآفات، وهي مُلَوِّحة من وجه آخر إلى أنه لا أمان ولا سلام ولا نجاة لمن حاد عن الهدى

(١) فتح الباري: ١ / ٣٨، إرشاد الساري: ١ / ٧٩.
(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١.

أو عاداه، وكأن هذه الطريقة الواعية في الصياغة تطوي وراءها وعْدًا ووعيدًا، وإغراء وتحذيرًا " (١).

وعبر النبي – ﷺ – بالفعل الماضي " اتّبَعَ "حرصًا منه على تحقق وقوع اتباع الهدى، وكأنه حدث من هرقل، وأخبر النبي بذلك عنه، وفي هذا دلالة على حرصه على هداية الناس.

وتعريف " الهُدى "بـ " أل " للدلالة على العهد الذهني ؛ لأنه ليس المقصود اتباع أي هدى، وإنما المقصود هو اتباع هدى الله – ﷻ – المعلوم المعروف الذي بلغ حد الكمال، والذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، فـ ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ (٢)، وكل ما عداه مما تهتدي إليه عقول البشر بالنظر والبحث والتجريب في مناهج الحياة ليس هدى كاملًا ؛ لأنه إن أصاب في جانب أخطأ في آخر ؛لأن العجز ضربة لازب على كل ما يصدر عن البشر.

وفي هذه الجملة " سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى "اقتباس من قوله تعالى:﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (٣)، ولم تنقص الجملة النبوية عن الجملة القرآنية إلا الواو و " أل " في أولها، وفي هذا الاقتباس من معين القرآن الكريم والامتياح من نبعه ضرب من الزينة اللفظية والجمال الأسلوبي، حيث تظهر الجملة القرآنية في ثنايا الحديث كالضوء اللامع والنجم الساطع، هذه بالإضافة إلى ما في هذا الاقتباس من تأثر النبي – ﷺ – بمعلمه القرآن الكريم الذي كان يتلوه ليل نهار، وصباح مساء.

ومن براعة النبي – ﷺ – العالية، ومقدرته الفنية الفائقة، وقوته البيانية المتألقة في تلك الجملة المقتبسة أنه " قد أدارها بيانه – ﷺ – إدارة جديدة، صارت به

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٧٨ / د / محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
(٢) البقرة: ١٢٠.
(٣) طه: ٤٧.

مخالفة للجملة القرآنية من جهة أن الجملة القرآنية جملة خبرية، والجملة النبوية جملة إنشائية ؛ وذلك لأنها جاءت هنا في سياق التحية، والسياق في التحية دعاء، أما الجملة القرآنية فإنها جاءت في جملة الكلام اللَّيِّن الذي أمر الله به موسى وهارون بأن يحادثا به فرعون " (١).

وفي التعبير بهذه الجملة المقتبسة بصيغة الاسمية لا الفعلية– حيث قال – ﷺ –: " سَلامٌ" (٢)، ولم يقل: " نسلم سلامًا " – دلالة على الثبوت والدوام والاستمرار، أي أن هذا السلام الحاصل لمن اتبع الهدى، وآمن به، أمر محقق ومقرر على سبيل الثبوت والدوام والاستمرار، يقول بدر الدين العيني " ثم عدل عن النصب إلى الرفع لغرض الدوام والثبوت " (٣).

وفي هذه الجملة المقتبسة أيضًا تعريض بهرقل وأتباعه بأنهم ليسوا على الهدى، وأنهم كذلك ليسوا من أهل ذلك السلام.

ثم جاء النبي – ﷺ – بعد جملة هذه التحية الافتتاحية بفصل الخطاب " أَمّا بَعْدُ" ؛ ليفصل بذلك بين المرحلة التمهيدية في الرسالة – وذلك يتمثل في البسملة، والتعريف باسم كلٍّ من المُرْسِل والمُرْسَل إليه وصفته، وجملة التحية الافتتاحية – ومضمون الرسالة الآتي بعد ذلك، وذلك من الفصل الذي هو أحسن من الوصل، حيث يشد انتباه المستقبل، ويجعله متواصلًا مع المُرْسِل ترقُّبًا لما يأتي بعد ذلك، وفي هذا لون من التقفية الأسلوبية.

وفي لفظة " أَمّا " هنا ضرب من الشرط والتوكيد والترابط الأسلوبي ؛ لذا فقد اقترن جوابها بالفاء، والتقدير " مهما يكن من شيء فإني أدعوك بدِعاية الإسلام"، ولا تدل هنا على التفصيل ؛ لأن التفصيل لابد فيه من التكرار ووجود قسيم

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٧٩، ٤٨٠.
(٢) لفظة " سَلامٌ" هنا مبتدأ، وصحّ الابتداء بها وهي نكرة لتضمنها معنى الدعاء ؛ لأن الدعاء معنى من المعاني الذي تخصصت به النكرة، وصارت مفيدة ؛ لذا جاء الابتداء بها.
(٣) عمدة القاري: ١ / ١٥٧ / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

المفصل، وإنما تدل على الاستئناف، أي الأخذ في كلام مستأنف من غير أن يتقدمها كلام [1].

واقترنت جملة الجواب هنا بالفاء ربطًا للجواب بالشرط، وفي ذلك لون من ترابط الأسلوب وتماسكه وتلاحمه وتعاضده.

وأكد – ﷺ – جملة " إِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعايةِ الإِسْلامِ "بـ " إن " واسمية الجملة وتكرار إسناد الفعل، حيث أسند مرة إلى اسم " إن " ومرة أخرى إلى الضمير المستتر وهو الفاعل تثبيتًا لهذا المعنى في نفس المتلقي، هذا بالإضافة إلى قوة إحساسه – ﷺ – بهذا المعنى، وتمكنه من نفسه، وحرصه عليه، ولا يخفى ما في كاف الخطاب من تحديد المخاطَب وتعيينه.

واستخدم النبي – ﷺ – ضمير التكلم المفرد – ياء المتكلم – تواضعًا منه – وهو أشرف الخلق وأعظمهم – لمن يدعوه، وفي هذا إشارة وإيحاء إلى الدعاة بأن يكونوا متواضعين مع من يدعونهم استمالة لقلوبهم، وجذبًا لأفئدتهم إلى الهدى الذي يدعونهم إليه.

وفي التعبير بالفعل المضارع " أدعوك " دلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن دعوة النبي – ﷺ – هرقلَ للدخول في الإسلام متجددة باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

والباء في قول النبي – ﷺ –: " بدِعاية الإسلام " بمعنى إلى، وفي إضافة " دِعاية " إلى " الإسلام " ضرب من البيان والتوضيح لهذه الدِّعاية، كما فيها أيضًا لون من التشريف والتكريم، فهي دِعاية شريفة وكريمة وعظيمة، فهي ليست أيّ دِعاية، وإنما هي دِعاية الإسلام، دين الحنيفية السمحة، ودين التوحيد الخالص لله رب العالمين وحده، جلّ في علاه.

ثم توجّه النبي – ﷺ – قارنًا الترغيب بالترهيب، والإغراء بالتحذير في قوله: " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ "، والأمر هنا على حقيقته للوجوب بدليل ترتّب الثواب الجزيل والأجر العظيم على

(١) السابق نفسه.

امتثاله والانقياد له، والعذاب الأليم والعقاب الشديد على عصيانه، وعدم الإذعان له، ففي الثواب " تسلم "، و " يؤتك الله أجرك مرتين "، وفي العقاب " فإن تولّيت فإن عليك إثم الأريسيّين ".

وفي قوله – ﷺ –: " أسلمْ تَسلَمْ " لون بديعيّ خلّاب، وهو جناس الاشتقاق، حيث إن الأصل الاشتقاقي للفعلين واحد، وهو " سلم "، ولكن معنى الفعلين مختلف فالأول أمر بالدخول في الإسلام، والثاني جواب لهذا الأمر بمعنى السلامة من كل سوء وأذى، وقد أضفى هذا الجناس على الأسلوب جرْسًا موسيقيًّا يشنّف الآذان، ويأسر الأسماع، ويجذب القلوب، هذا بالإضافة إلى ما يضفيه على الأسلوب من ترابط لأجزائه، وتلاحم لأبعاضه، فالدخول في الإسلام مَهْيَع واضح، وطريق مُعَبَّد للسلامة والأمن والأمان والفوز والنجاة في الدنيا والآخرة، ، ومما زاد هذا الجناس مجيئه مطبوعًا غير متكلف، حيث إن المعنى هو الذي نادى به واستدعاه، والأسلوب هو الذي تتطلبه واقتضاه، وذلك غاية الحسن.

كما نجد في هذه العبارة أيضًا ضربًا من الإيجاز ؛ وذلك لما تشتمل عليه من المعاني الكثيرة، فهي من جوامع الكلم التي تمثّل قاعدة عامة يندرج تحتها جزئيّات يصعب حصرها واستقصاؤها، يقول الإمام النووي: " فإن قوله – ﷺ –: " أَسْلِمْ تَسْلِمْ " في نهاية من الاختصار، وغاية من الإيجاز والبلاغة، وجَمْعِ المعاني، مع ما فيه من بديع التجنيس، وشمولِه لسلامته من خزي الدنيا بالحرب والسَّبْي والقتل وأخذ الديار والأموال، ومن عذاب الآخرة " [1].

وحذف متعلق الفعل " تسلم " للدلالة على العموم والشمول، أي تسلم من كل أنواع الأذى والشر والعذاب في الدنيا والآخرة.

ولا يفهم من هذه العبارة النبوية " أسلمْ تَسلَمْ " التهديد لهرقل بإعلان الحرب عليه، وإشهار السيف، والاستيلاء على ملكه وماله إذا لم يدخل في الإسلام كما يرى الدكتور / صلاح عبد الفتاح الخالدي حيث يقول في تعليقه عليها: "

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٢ / ١٠٨.

والمعنى: إن دخلت في الإسلام حَقَّقْتَ السلام والأمان في هذه الدنيا، وسلمتَ من الحرب والقتال والقتل، وحَقَنْتَ دَمَكَ ومالَكَ، وهذا معناه أنك إن لم تُسْلِمْ فلن تَسْلَمْ، وسوف نُعْلِنُ الحرب عليك، وسنقاتلك، وتكون عُرْضةً للقتل والموت " [1]، وهذا كلام يجانبه الصواب، حيث لا إكراه في الدين، ولم يَرِدْ أن النبي – ﷺ – أكرهه على ترك عقيدته، أو أعلن عليه الحرب، ومعلوم أنه لم يدخل في الإسلام، ولعل النبي – ﷺ – قال له ذلك من باب الإخبار بالغيب الذي أطلعه الله – ﷻ – عليه، لا من باب التهديد بإعلان الحرب عليه.

وفي رواية مسلم،وأخرى للبخاري بلفظ " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ " [2]، ويرى بعض العلماء أن النبي – ﷺ – أعاد الفعل " أسْلِمْ " لاختلاف متعلق الفعلين، فـ " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " بيان لثمرات الدخول في الإسلام في الدنيا، وذلك بالسلامة من الآفات والكوارث والمصائب، و " أَسْلِمْ يؤتك اللهُ أجرَك مرتينِ " بيان لثمرات الدخول في الإسلام في الآخرة، وذلك بالسلامة في الآخرة من العذاب، فيجمع المسلم بين خَيْرَي الدنيا والآخرة، ويُحَصِّل السلامة في دنياه وأخراه [3]. ولكن هذا الرأي يجانبه الصواب ؛ لأنه خصّ السلامة في لفظ " تَسْلَمْ " بالسلامة في الدنيا، وهو أقرب إلى العموم، فيشمل السلامة في الدنيا والآخرة.

ويرى ابن حجر أن تكرار ذلك الفعل يحتمل أن يكون للتأكيد، ويحتمل أن يكون للتأسيس، فيكون الأمر الأول للدخول في الإسلام، والثاني للثبات والدوام عليه كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [4] [5]،

(١) الرسول المبلغ: ١٠٨.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / كتاب الجهاد والسِّيَر / باب كُتُبِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام / رقم: ١٧٧٣ / ١٢ / ١٠٣ /، فتح الباري: كتاب الجهاد / باب دعاء النبي - ﷺ- الناسَ إلى الإسلام والنبوّةِ وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله / رقم: ٢٩٤١ / ١ / ١١٠.
(٣) الرسول المبلغ: ١٠٨، أضواء على البلاغة النبوية: ٣٤.
(٤) النساء: ١٣٦.
(٥) فتح الباري: ٣٨/١، وينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥/ ٦، ٧.

فالمراد بالأمر بالإيمان هنا الثبوت والدوام عليه [1]، ويرى بدر الدين العيني أن التأكيد أرجح فيقول: " والأصوب أن يكون من باب التأكيد " [2]، وأرى أن احتمال التأسيس هنا أولى، لأن التأسيس أولى من التأكيد.

وفي هاتين الجملتين الطلبيتين " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " و " أَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ " ضرب من الإيجاز والاختصار ؛ لأن جملة جواب الأمر فيهما جواب لشرط محذوف، والتقدير " أَسْلِمْ فإن تُسْلَمْ تَسْلَمْ " و " أَسْلِمْ فإن تُسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ "، وفي هذا الإيجاز اكتناز للعبارة، وتكثيف للأسلوب بحذف فضوله، بحيث يؤدي أكثر المعاني بأقل الألفاظ مع الوفاء بالغرض المقصود، وتحقيق الهدف المنشود.

وقال النبي – ﷺ –: " يُؤْتِكَ "، ولم يقل: " يُعْطِكَ " ؛ لأن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ؛ لوجود مطاوع لـ " الإعطاء " دون " الإيتاء "، يقول السيوطي: " قال الخُوَيِّي: وظهر لي فرق ينبئ عن بلاغة كتاب الله، وهو أن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله ؛ لأن الإعطاء له مطاوع، تقول: أعطاني فعَطَوْتُ، ولا يقال في الإيتاء: آتاني فأخذتُ، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له " [3]، هذا بالإضافة إلى أن الإعطاء أخصّ والإيتاء أعمّ ؛ لأن الإعطاء تمليك عن سماحة نفس، ولا يكون إلا في الخير، والإيتاء يكون تمليكًا وغير تمليك، ويستخدم مع رضا النفس وسخطها، كما يستخدم في الخير والشر، ويكون فيما له ثبات وقرار " [4]، فنعمة الله – ﷻ – على العبد عمومًا مسداة وسابغة، وهي على المؤمن الموحّد أفضل وأعظم وأكثر، وهذا أدعى إلى تطمين هرقل في تحقيق الأجر، وتحصيل الثواب،

(١) التحرير والتنوير: ٥ / ٢٣٠ / محمد الطاهر بن عاشور / الدار التونسية / تونس / ١٩٨٤م.
(٢) عمدة القاري: ١ / ١٥٨.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢ / ٣٦٧ / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
(٤) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ١٥٧ / محمد نور الدين المنجّد / دار الفكر / دمشق / سورية، دار الفكر المعاصر / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

ولكن ماذا بعد أن طبع الله على قلبه، وختم على سمعه وبصره، وأضلّه المُلْك، وفتنته الدنيا بزينتها ؟

وفي التعبير بالفعل المضارع " يُؤْتِكَ " دلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن هذا الإيتاء لذلك الأجر المضاعف يحدث شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وفي إسناد الإيتاء إلى الله – ﷻ – في قوله – ﷺ–: " يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ " دلالة على عظم ذلك الأجر ؛ لأن الأجر يكون على قدْر مؤتيه ومعطيه، فكيف يكون ذلك الأجر من الله – ﷻ – الذي لا تنفد خزائنه أبدًا ؟

وفي اختيار اسم الله الأعظم " الله " العَلَم على الذات العليّة، والجامع لكل صفات الكمال والجلال والجمال تطمين لهرقل بضمان ذلك الأجر وتحقيق حدوثه، حيث لا غالب لأمره ﷻ، ولا رادّ لقضائه، هذا بالإضافة إلى ما في اختيار لفظ الجلالة أيضًا من إعلان الألوهية لله رب العالمين وحده، وإعلام المخاطب بأن الألوهية الحقّة لا تكون إلا لله جل في علاه.

وعبر النبي – ﷺ – بلفظ " أجر " دون "ثواب " ؛ لأن الأجر لا يكون إلا في النفع دون الضر، والخير دون الشر، ويكون مقابل عمل تمّ إنجازه أولًا، بخلاف الثواب فإنه يكون في النفع والضر، والخير والشر، وإن كان في النفع والخير أكثر، فكلٌ منهما يكون في مقابل عمل، لكن الأجر لا يكون إلا في الخير [1].

وفي التعبير بلفظة " مرتين " دلالة على تضعيف ذلك الأجر وتعظيمه لهرقل، حيث يأخذ أجرًا على إسلامه، وأجرًا آخر على إسلام قومه ورعيته وأتباعه باعتباره قائدًا وإمامًا لهم، والناس على دين ملوكهم، أو أجرًا على إيمانه بالنبي عيسى عليه السلام – حيث كان هِرَقْل مسيحيًّا – وأجرًا آخر على إيمانه بالنبي محمد ﷺ [2]، حيث جاء في الحديث " ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ

(١) السابق: ١٦٠ - ١٦٢.
(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١،فتح الباري: ١ / ٤٨، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٦.

**إذا أَدّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَواليهِ، وَرَجُلٌ كانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَها فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها، وَعَلَّمَها فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَها، ثُمَّ أَعْتَقَها فَتَزَوَّجَها فَلَهُ أَجْرانِ "** (١).

**ثم وَجَّهَ النبي – ﷺ – الخطاب إلى هرقل منذرًا ومحذرًا له من سوء عاقبة تولّيه عن الإسلام ورفضه له فقال: " فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ ".**

**والفاء هنا للدلالة على الاستئناف، ولا يفهم من ذلك أن مدخولها مبتور العلاقة عما قبله، ومقطوع الصلة به ؛ لأنها تفيد الربط المعنوي بين أجزاء الكلام، حيث تعطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر، فهي تعطف هنا مضمون جزاء هرقل إن تولّى عن الحق ولم يدخل في الإسلام على مضمون ثوابه إذا أسلم ونال السلامة في الدارين، وذلك من باب العطف الذكري الذي يفيد ترتيب الأحداث، وتَرَتُّب بعضها على بعض، وذكر الدكتور / محمد محمد أبو موسى أن هذه الفاء الاستئنافية " تُرَتِّب قصة على قصة، أي مضمونًا على مضمون "** (٢).

**وعبر النبي – ﷺ – بـ " إن " الشرطية ؛ لأنها تستعمل في الشرط غير المقطوع بوقوعه، بخلاف " إذا " التي تستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه، وفي هذا دلالة على حرص النبي – ﷺ – على إسلام هرقل، وإرادة الخير له، حيث أظهر تولِّيَه في صورة المشكوك فيه، و معرض غير المقطوع به.**

**وفي قوله – ﷺ –: " تَوَلَّيْتَ " استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه رفض هرقل للإسلام وإعراضه عنه بالتولّي – وهو إشاحة الوجه عن جهة المخاطَب – ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به – وهو التولّي – واشتق منه " تولّيتَ " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وفي هذه الاستعارة تصوير لهرقل في حالة إعراضه عن الإسلام ورفضه له بصورة من يشيح بوجهه عمّن يخاطبه إعراضًا وأَنَفة واستكبارًا، وتلك صورة قبيحة وشنيعة، هذا بالإضافة إلى ما في هذه الاستعارة أيضًا من تجسيم معنى الرفض بهذه الصورة المحسوسة البغيضة**

(١) فتح الباري: كتاب العلم / باب تعليم الرجل أمتَه وأهلَه / رقم: ٩٧ / ١ / ١٩٠.
(٢) دلالات التراكيب: ٣٢٩ / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

المستنكرة، يقول ابن حجر: " وحقيقة التولّي إنما هو بالوجه، ثم استعمل مجازًا في الإعراض عن الشيء، وهي استعارة تبعية " (١).

ثم جاءت الفاء الجوابية في قوله – ﷺ –: " فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ " ؛ لتربط الجواب بالشرط، وليصير الأسلوب مترابط الأجزاء، متماسك الأبعاض، هذا بالإضافة إلى ما توحي به هذه الفاء من الدلالة على السببية ؛ لأن الشرط سبب في الجواب، والجواب نتيجة للشرط، وهكذا تترابط أجزاء الكلام البليغ وتتعانق وتتعالق، وذلك أُسّ البلاغة، وأساس البراعة.

وأكد النبي – ﷺ – جملة جواب الشرط هنا بـ " إن "، وتقديم خبرها على اسمها، واسمية الجملة ؛ ليقرر هذا المعنى الخطير – وهو تحمّل هِرَقْل تبعة رعيته وأتباعه – ويرسخه في ذهن علّه يحذر وينتبه ؛ لأنه هو المسئول عنهم، والمتسبب فيما يصيبهم، ويلحق بهم.

وفي التعبير بحرف الجر " على " الدال على الفوقية إيذان بالتحمل الشديد لما يُلْقى على هِرَقْل من إثم الأريسيّين باعتباره إمامًا وقدوة لهم، ومتسببًا فيما ينالهم.

وفي تقديم خبر " إن " وهو " عليك " على اسمها وهو " إثم الأريسيّين " دلالة على القصر، حيث قصر النبي – ﷺ – تحمل إثم الأريسيّين على هِرَقْل وحده، ونفاه عمّن سواه، يقول الكرماني: " وتقديم لفظ " عليك " على اسم " إن " مفيد للحصر، أي ليس إثمهم إلا عليك " (٢)، وفي هذا لون من التوكيد على تحمل هِرَقْل مسئولية رعاياه وإثمهم إذا تولى ورفض الدخول في الإسلام.

وعبر النبي – ﷺ – بلفظة " إثم " للدلالة على عظم هذه المعصية التي يقترفها هرقل بعدم دخوله في الإسلام، وهل بعد الكفر ذنب ؟ !!!، ومما يدل على استخدام لفظ " إثم " في عظيم الذنوب وكبيرها قوله– ﷻ –: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾(٣)،

(١) فتح الباري: ١ / ٣٩، وينظر: إرشاد الساري: ١ / ٨٠، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٧.
(٢) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: ١ / ٦١.
(٣) النساء: ١١٢.

يقول الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور في تعليقه على هذه الآية الكريمة: " وذِكْرُ الخطيئة والإثم هنا يدل على أنهما متغايران، فالمراد بالخطيئة المعصية الصغيرة، والمراد بالإثم الكبيرة " (١).

وقد يقول قائل: لمَ عبّر النبي – ﷺ – بـ " الأريسيّين " وهي لفظة تكاد تكون غريبة ؟ ويجاب على ذلك بأن هذه اللفظة لم تكن غريبة على أهل الشام التابعين لمملكة هرقل، ويؤيد ذلك ويؤكده قول الأزهري: " أَحْسَب الأَريس والأَرّيس بمعنى الأَكّار من كلام الشام " (٢)، فهي – وإن كانت في ظاهرها غريبة – فهي بليغة لاقتضاء المقام لها، وموافقتها لحال المخاطب، يقول الدكتور / محمد أحمد عثمان: " إن الغرابة في البيان النبوي غرابة تطلبها البيان، فهي مسلك من مسالكه، وطريق من طرقه " (٣).

وخص النبي – ﷺ – " الأريسيّين " بالذكر والمراد كل أتباعه ورعاياه وجميع أهل مملكته ؛ لأنهم أغلب أتباع هرقل ورعاياه، ولأنهم أسرع انقيادًا لأمره، واتباعًا له لسذاجتهم وجهلهم، فإذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا (٤).

وفي هذه الجملة " فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ " إيجاز بالحذف، والتقدير: فإن عليك إثمك وإثم الأريسيّين ؛ لأنه إذا كان يحمل آثام أتباعه ورعاياه باعتباره متسببًا في كفرهم وضلالهم، فإنه يحمل إثمه باعتباره فاعلًا من باب أولى، فكل نفس بما كسبت رهينة، يقول ابن حجر: " وفي الكلام حذف دل المعنى عليه، وهو: فإن عليك مع إثمك إثم الأريسيّين ؛ لأنه إذا كان عليه إثم الأتباع بسبب أنهم تبعوه على استمرار الكفر، فلأن يكون عليه إثم نفسه

(١) التحرير والتنوير: ٥ / ١٩٦ / الدار التونسية / تونس / ١٩٨٤م.
(٢) تهذيب اللغة / مادة: أرس.
(٣) الغرابة في البيان النبوي: ٥٩ / د / محمد أحمد عثمان / دار الطباعة المحمدية / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٢ / ١٠٩، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٢، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٣٨ / هامش رقم: ٣ / أحمد زكي صفوت / المكتبة العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م.

أولى " [1]، وصدق الله العظيم حيث قال:﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [2].

وبين قوله – ﷺ –:" أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ " وقوله: " فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ " مقابلة معنوية بديعة تظهر الصورتين وتبرزهما، صورة الدخول في الإسلام، وما يترتب عليها من حسن الثواب والسلامة والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة، وصورة التولّي عنه ورفضه وما يترتب علي ذلك من الوِزْر والإثم، حيث يحمل إثمه وإثم أتباعه ورعاياه.

والواو في قوله – ﷺ –:" ويا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ... " عاطفة، والمعطوف محذوف، والتقدير: وأقول لك ولأتباعك امتثالًا لقول الله – ﷻ –: " يا أهل الكتاب... "، أو أدعوك بدِعاية الإسلام، وأدعوك بقول الله – ﷻ –: " يا أهل الكتاب... "، وبهذا قالوا: إن الواو من كلام النبي ﷺ [3]، وتتجلى قيمة هذه الواو العاطفة في ربط بعض أجزاء الكلام بالبعض الآخر، حيث ربطت النص المقتبس من كلام الله – ﷻ – بنص كلام رسول الله – ﷺ – غير المقتبس.

ويحتمل أن تكون هذه الواو من كلام أبي سفيان ﷺ ؛ لأنه لم يحفظ جميع ألفاظ الكتاب، فاستحضر منها أول الكتاب فذكره، وكذا الآية، وكأنه قال: كان فيه كذا، وكان فيه يا أهل الكتاب [4]، ولكني أرى – والله أعلم – أن هذا الاحتمال بعيد لما فيه من التأويل والتقدير، هذا بالإضافة إلى أن نص الرسالة الذي تم اكتشافه وجدت فيه الواو [5]، الأمر الذي يؤيد أن الواو هنا من كلام رسول الله ﷺ، أضف إلى ذلك ما في الاحتمال الأول من فائدة زائدة لا توجد

(١) فتح الباري: ١ / ٣٩، وينظر: المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ١ / ٥٤١، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٢.
(٢) النحل: ٢٥.
(٣) فتح الباري: ١ / ٣٩، عمدة القاري: ١ / ١٥٨، إرشاد الساري: ١ / ٨٠، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٢.
(٤) فتح الباري: ١ / ٣٩.
(٥) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١١٠ / محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي / دار النفائس / بيروت / الطبعة السادسة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

في الاحتمال الثاني، وهي ما تقوم به الواو العاطفة من ترابط لنص الرسالة، وتلاحم لأبعاضها، وتماسك لأجزائها.

وقوله – ﷺ –: " ويا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ... " يحتمل أن يكون من كلام النبي، وأن ذلك كان قبل نزول الآية، فوافق لفظُه – ﷺ – لفظَها لمّا نزلت بعد ذلك في وفد نصارى نجران، ويحتمل أن تكون الآية قد نزلت قبل ذلك في اليهود فقط، أو في اليهود والنصارى معًا، ويكون ذلك قد جاء من النبي – ﷺ – اقتباسًا من الآية الكريمة (١)، وهذا ما أميل إليه وأرجحه ؛ لأنه لا يوجد لدى المفسرين وشراح الحديث ما يرجح اختصاصها بالنزول في وفد نصارى نجران (٢).

وفي استخدام حرف النداء " يا " هنا دلالة على قوة التنبيه والإيقاظ المُوَجَّهة للمنادى لغفلته وشرود ذهنه عما نودي به، ودُعِيَ إليه، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالأمر المنادَى به، إذ قد ينادى القريب بأداة نداء البعيد " يا " إذا كان ساهيًا أو غافلًا عمّا طُلِبَ منه تنزيلًا له منزلة البعيد، وكذلك إذا كان الخطاب المترتب على النداء في محل الاهتمام والاعتناء.

وفي التعبير بـ " أهل الكتاب " – بإضافة أهل إلى الكتاب – دلالة على أن المخاطبين بهذا النداء أهل عقيدة سماوية، وكتاب سماوي، الأمر الذي يستميل قلوبهم، ويستثيرهم، ويذكرهم ويدعوهم إلى الحكمة في الإنصاف، وإعمال العقل فيما طُلِبَ منهم، وخوطبوا به، يقول أبو حيان الأندلسي: " وخاطبهم بـ " يا أهل الكتاب " هزًّا لهم في استماع ما يلقى إليهم، وتنبيهًا على أن من كان أهل كتاب من الله ينبغي أن يَتْبَع كتاب الله " (٣).

---

(١) فتح الباري: ١ / ٣٩، إرشاد الساري: ١ / ٨١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ١٠٦ / القرطبي / تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش / دار الكتب المصرية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٥٦، ٥٧ / ابن كثير / تحقيق: سامي محمد سلامة / دار طيبة / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثانية / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، فتح الباري: ١ / ٣٩، عمدة القاري: ١ / ١٥٨، إرشاد الساري: ١ / ٨١.

(٣) البحر المحيط: ٣ / ١٩٣ / تحقيق: زهير جعيد / دار الفكر / بيروت / لبنان /١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

وفي هذا التعبير أيضًا دلاله على أن الخطاب مُوَجَّه لليهود والنصارى معًا، وإن كان بعض المفسرين يرى اعتمادًا على سبب النزول أن الخطاب مُوَجَّه لليهود فقط أو للنصارى فقط ؛ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وتعريف الكتاب هنا باللام للدلالة على العهد، أي الكتاب المعهود لدى المخاطبين، وهو الإنجيل على رأي من يرى أن الآية نزلت في نصارى نجران، أو التوراة على رأي من يرى أنها نزلت في اليهود، أو هما معًا على رأي من يرى أنها نزلت في اليهود والنصارى معًا.

وفي مجيء هذا النداء " يا أهل الكتاب " قبل الأمر التالي لذلك " تعالوا إلى كلمة سواء... " تهيئة لنفس المتلقي، وتنبيه له ؛ ليستقبل الأمر بذهن يَقِظ، وعقل واعٍ، ونفس مهيّأة له، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " إن النداء يصحب الأمر والنهي غالبًا، وكأنه إعداد النفس لهما " (١).

والأمر في " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " للوجوب لصدوره من الأعلى للأدنى على سبيل الاستعلاء والإلزام، ولترتّب العقوبة المغلظة على مخالفته، وعدم الامتثال له.

وفي التعبير بلفظ " كلمة " هنا مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، حيث أطلق لفظ " كلمة " والمراد هنا كلام، وهو " أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله "، وفي هذا المجاز دلالة على تلازم ذلك الكلام وترابطه، واقتضاء بعضه بعضًا، حتى كأنه كلمة واحدة، وإطلاق الكلمة على الكلام من الأساليب الجارية المستخدمة في البيان العربي، حيث يطلقون على القصيدة أو الخطبة كلمة على حدّ قول الله – ﷻ –: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ (٢)، يقول أبو حيان الأندلسي: " وعبّر بالكلمة عن الكلمات ؛ لأن الكلمة قد تطلقها العرب على الكلام، وإلى هذا ذهب الزَّجّاج، إما لوضع المفرد

(١) دلالات التراكيب: ٢٦٣، وينظر: علم المعاني: ٢ / ١٢١ / د / بسيوني فيّود / مؤسسة المختار / القاهرة، دار المعالم الثقافية / الأحساء / الطبعة الثانية / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
(٢) المؤمنون: ١٠٠.

موضع الجمع... وإما لكون الكلمات مرتبطة بعضها ببعض، فصارت في قوة الكلمة الواحدة إذا اختلّ جزء منها اختلّت الكلمة " (١).

وفي عبارة " تعالوا إلى كلمة " استعارة مكنية، حيث شبهت الكلمة بالمكان أو النادي يُدْعَى إليه للاجتماع لأمر ما، ثم حذف المشبه به، وأتي بشيء من لوازمه وأثبت للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية، وفي ذلك لون بديع من التصوير والتمثيل.

وفي وصف هذه الكلمة التي دُعُوا إليها بـ " سواء " دلالة على أنها ليست كلمة مطلقة، وإنما هي كلمة مقيّدة بالعدل والإنصاف.

وفي التقييد بـ " بيننا وبينكم " دلالة على أنها كلمة عدل وإنصاف للفريقين: فريق النبي – ﷺ – والمؤمنين، وفريق أهل الكتاب اليهود والنصارى، بحيث تشمل الفريقين معًا، وبحيث لا يُنْصَف فريق على حساب ظلم الفريق الآخر، وكيف يكون في هذه الكلمة ظلم وقد اتفقت عليها الكتب السماوية الثلاثة: القرآن والتوراة والإنجيل ؟.!!!

ثم فُسِّرَت هذه الكلمة السواء بين الفريقين بـ " أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله "، وفي هذا التفسير ضرب من الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وفي ذلك لون من التأكيد والتقرير، وذلك بذكر الشيء مرتين، ولا ريب أن ما يذكر مرتين آكد وأرسخ في ذهن المتلقي مما يذكر مرة واحدة.

وهذه الجمل الثلاث متقاربة في المعنى، ويستلزم بعضها بعضًا ؛ لأن عدم عبادة غير الله – ﷻ – يقتضي عدم الإشراك به، وكلٌّ منهما يقتضي عدم اتخاذ غير الله – ﷻ – أربابًا من دونه جلّ شأنه، يقول أبو حيان الأندلسي: " وهذه الأفعال الداخل عليها أداة النفي متقاربة في المعنى، يؤكد بعضها بعضًا، إذ اختصاص الله بالعبادة يتضمّن نفيَ الإشراك ونفيَ اتخاذ الأرباب من دون الله، ولكن الموضع موضع تأكيد وإسهاب ونشر كلام ؛ لأنهم كانوا مبالغين في التمسك بعبادة غير الله، فناسب ذلك التوكيدَ في انتفاء ذلك، والنصارى جمعوا

(١) البحر المحيط: ٣ / ١٩٤، وينظر: التحرير والتنوير: ٣ / ٢٦٨.

بين الأفعال الثلاثة: عبدوا عيسى، وأشركوا بقولهم: ثالثُ ثلاثة، واتخذوا أحبارهم أربابًا في الطاعة لهم في تحليلٍ وتحريمٍ وفي السجود لهم " (١).

وجاء التعبير في الجمل الثلاث بالفعل المضارع للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن نفي عبادة غير الله – ﷻ – وعدم الإشراك به، وعدم اتخاذ الأرباب من دونه أمر متجدد وحادث باستمرار شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن إلى أن يرث الله – ﷻ – الأرض ومن عليها.

وجاء النفي في الأفعال الثلاثة " نعبد "، " نشرك "، " يتخذ " بـ " لا " دون " لن " لامتداد النفي بـ" لا " في المستقبل، يقول الزركشي: " قال بعض أهل البيان: إن " لن " لنفي القريب، و " لا" لنفي البعيد عكس مقالة الزمخشري، وعلّله بأن الألفاظ مشاكلة للمعاني، والنَّفَس يمتدّ في ألف " لا " أكثر من " لن "، فاقتضت بعدًا زائدًا على " لن "، يعني به أنها لما اخْتُصَّتْ بزيادة مَدّ اخْتُصَّتْ بزيادة مُدَّة " (٢)، وذكر ابن القيّم أن النفي بـ " لا " يبدأ من لحظة التكلم ويمتدّ إلى المستقبل ويستطيل، حيث إن امتداد لفظها يؤذن بامتداد معناها(٣).

وفي جملة " لا نعبد إلا الله " قصر حقيقي تحقيقي، حيث قصرت العبادة على الله – ﷻ – وحده، ونفته نفيًا عامًّا عن كل ماسواه من الآلهة الباطلة المزعومة، وذلك ما يطابقه الواقع، بل وينطق به ويؤيده ويؤكده، إذ لا معبود بحق سواه جلّ جلاله.

وجاء القصر هنا بطريق النفي والاستثناء زيادة في التأكيد، وإيذانًا بأهمية الأمر المراد إثباته، وهو إثبات العبودية لله – ﷻ – وحده ؛ لأن المقام هنا مقام إنكار من المخاطب، ومن المقرر لدى البلاغيين أن القصر بالنفي والاستثناء يستخدم فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يشك فيه ويرتاب، يقول الإمام عبد القاهر

(١) البحر المحيط: ٣ / ١٩٦، وينظر: مفاتيح الغيب: ٨ / ٢٥٢ / الرازي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤٢٠ هـ.

(٢) معنى: " لا إله إلا الله ": ١٥٣ / تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي / دار الاعتصام / القاهرة / الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٣) بدائع الفوائد: ١ / ١٦٦ / تحقيق: علي محمد العمران / دار عالم الفوائد / مكة المكرمة / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ.

الجرجاني: " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هو إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجدّ في الإنكار أن يكون كذلك " (١).

ولما كان الخطاب هنا مسوقًا لإثبات كلٍّ من الألوهية والوحدانية والربوبية لله – ﷻ – جاء التعبير بلفظ الجلالة " الله " العَلَم على الذات العليّة، والجامع لكل صفات الجلال والجمال والكمال.

وفي تنكير لفظة " شيئًا " في سياق النفي دلالة على العموم والشمول، فيشمل النفي ويعم هنا أيّ شيء يتخذ شريكًا مع الله، تعالى الله – ﷻ – عن الشريك والنظير علوًّا كبيرًا.

وجاء التعبير بصيغة الافتعال في الفعل " يتخذ " بدلًا من " يأخذ " للدلالة على غرابة اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، وشناعة صدوره منهم وهم أهل الكتاب، يقول البقاعي: " ولما كان التوجه إلى غير الله خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى عبّر بصيغة الافتعال فقال: " ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا "، أي كعُزَيْر والمسيح والأحبار والرهبان الذين يحلون ويحرمون " (٢).

ولما كان لفظ الربّ قد يطلق على المعلم والمربي بنوع من التربية جاء الاحتراس بهذا القيد " من دون الله " للدلالة على أن المحذور إنما هو اعتقاد الاستبداد والاجتراء على ما يختص به الله – ﷻ – كالتحليل والتحريم والربوبية المطلقة (٣).

ولما كان صدور التولّي والإعراض من أهل الكتاب عما أمروا به ودُعُوا إليه مما قامت به الحجة ينبغي ألا يوجد منهم، جاء الأسلوب في جملة " فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " بأداة الشرط " إن " التي تدل على أن شرطها مشكوك

(١) دلائل الإعجاز: ٣٣٢ / تحقيق: محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / القاهرة، دار المدني / جدة / الطبعة الثالثة / ١٣١٤ هـ - ١٩٩٢م.
(٢) نظم الدرر: ٤ / ٤٤٧ / دار الكتاب الإسلامي / القاهرة / بدون تاريخ.
(٣) السابق: ٤ / ٤٤٨.

فيه، وغير محقق الوقوع، يقول الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور: " جيء في هذا الشرط بحرف " إن " ؛ لأن التولي بعد نهوض هذه الحجة وما قبلها من الأدلة غريب الوقوع، فالمقام مشتمل على ما هو صالح لاقتلاع حصول هذا الشرط، فصار فعل الشرط من شأنه أن يكون نادر الوقوع مفروضًا " (١).

وفي طلب الإشهاد بالإسلام في جملة الجواب ضرب من السخرية والاستهزاء بهؤلاء الذين تولَّوا بعد إقامة الحجج، ووضوح البراهين، وبيان الأدلة، وذلك على حد قول القائل الغالب لخصمه المغلوب بعد الانتصار والفوز عليه في جدال أو صراع أو غيرهما: اعترفْ بأني أنا الغالب، وسَلِّمْ لي بالغلبة (٢)، حيث لم يكتف بالغَلَب والانتصار عليه، وإنما يطلب منه أيضًا أن يعترف ويشهد له بذلك قولًا تبكيتًا له وسخرية منه.

ويحتمل أن يراد بالشهادة هنا العلم، وإنما جاء التعبير عن العلم بالشهادة على سبيل المبالغة إخراجًا للمعقول من حيِّزه إلى حيِّز المحسوس المشهود (٣)،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، حيث شبه العلم بالشهادة، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به، واشتق منه " اشهدوا " تصويرًا للمعقول في صورة المشاهد المحسوس.

ويجوز أن يكون الأمر بالقول بطلب الشهادة للمؤمنين بأنهم مسلمون على سبيل التعريض بهؤلاء الذين تولوا بعد أن ظهرت لهم البراهين والحجج، وبدت لهم الأدلة ؛ لأنهم إذا شهدوا للمؤمنين بالإسلام فكأنهم اعترفوا على أنفسهم بأنهم كافرون، حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره، وأعرضوا عنه بعد وضوحه (٤).

وفي مجيء خبر " أن " بصيغة الاسم " مسلمون " دلالة على الثبوت والدوام، أي أننا ثابتون ومداومون على إسلامنا، ولا ننفك عنه أبدًا أيًّا كانت الأسباب.

---

(١) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٦٩، وينظر: نظم الدرر: ٤ / ٤٤٨.

(٢) الكشاف: ١ / ٣٧١ / الزمخشري / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤٠٧ هـ، وينظر المحرر الوجيز: ١ / ٤٤٩ / ابن عطية الأندلسي / تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

(٣) البحر المحيط: ٣ / ١٩٦.

(٤) الكشاف: ١ / ٣٧١، روح المعاني: ٢ / ١٨٧ / الألوسي / تحقيق: علي عبد الباري طه / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ.

والمتأمل في هذه الرسالة يجد أنها وهي مُوَجَّهة لدعوة غير المسلم للدخول في الإسلام يَشِعّ السلام في كل جوانبها، حيث وردت فيها مادة " سلم " عدة مرات كالآتي: " سلام "، " الإسلام "، " أسلم "، " تسلم "، " مسلمون "، وفي هذا دلالة تقرير وتأكيد على أهم مبادئ هذا الدين الحنيف، ألا وهو مبدأ السلام لكل أفراد البشر المؤمن منهم والكافر، الموافق منهم والمخالف، فهو سلام للمؤمن الموافق في الدنيا والآخرة، وسلام للكافر المخالف في الدنيا بحيث لا يُرَوَّع في مأمنه، ولا يعتدى عليه ما دام مسالمًا غير معتدٍ، فإذا اعتدى وحارب فإنه يُرَدُّ على اعتدائه ومحاربته دفاعًا ورَدًّا للعدوان، ودَرْءًا للمفسدة، فما أجمل ذلك الدين وما أعظمه !!!

والناظر في هذا القبس النبوي يرى أنه قد جاء أسلوبه وحدة مترابطة متماسكة، حيث عرض الفكرة المراد تبليغها للمخاطَب في قالب متماسك الأجزاء، مترابط الأبعاض فقد وجدنا فيه الطباق بين " من " و " إلى " بيانًا للابتداء والانتهاء، كما وجدنا فيه أيضًا الأمر وجوابه في " أسلمْ تَسْلَمْ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين "، والشرط وجوابه المقترن بالفاء الرابطة للجواب بالشرط في " فإن تولّيْتَ فإن عليك إثم الأريسيّين "وفي النص المقتبس " فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "، ولا يخفى ما بين الأمر وجوابه، وكذلك الشرط وجوابه من تلازم، فكلٌّ من الأمر والشرط بمثابة المقدمة، وجواب كلٍّ منهما بمثابة النتيجة،كما وجدنا كذلك تعاضدًا وتآزرًا مع ما سبق ضمير المخاطب العائد على هِرَقْل، وهو المحور الرابط لتلك الرسالة، وذلك في " أدعوك "، " أسلمْ "، " تَسْلَمْ "، " يؤتك "، " أجرك "، " تولّيْتَ "، " عليكَ "، كما جاء ذلك الضمير أيضًا في النص المقتبس، ولكنه عائد على أهل الكتاب الذين نزلت فيهم تلك الآية الكريمة في " تعالَوا "، " بينكم "، " قولوا "، " اشهدوا "، ولا غرو أن يُشْبِهَ الكتابُ النبويُّ التنزيلَ القرآنيَّ في أسلوبه، فهما من مشكاة واحدة، ألا وهي مشكاة الوحي، والقرآن الكريم هو مُعَلِّمُ النبي – ﷺ – وأستاذه.

كما يرى أنه غاية في الإيجاز، فهو من جوامع الكلم، حيث ألفاظه قليلة حتى لا يمكن حذف شيء منها، ومعانيه كثيرة بحيث لا يمكن حصرها، وإيحاءاته

غزيرة بحيث يصعب استقصاؤها، ولطائفه عديدة بحيث يَعِزّ استيفاؤها، وفوائده جمة بحيث لا يستطاع الإحاطة بها، وذلك أُسّ البلاغة وعمودها.

وبما أن هذه الرسالة النبوية العظيمة قد وُجِّهَتْ إلى هِرَقْل داعية له إلى التوحيد فقد ورد فيها لفظ الجلالة " الله " مرات عديدة ظاهرًا ومضمرًا ؛ لأن الدعوة إلى التوحيد هي المحور الأساسي الذي تدور عليه تلك الرسالة، ومع أن هِرَقْل كان نصرانيًّا فقد وجدنا فيها الاقتباس من القرآن الذي جاء هو والإنجيل من مصدر واحد، وهو الوحي الإلهيّ، وقد أشار الدكتور / إبراهيم طه الجعلي إشارة لطيفة إلى بيان سبب هذا الاقتباس فقال: " المدعوّ إلى الدخول في الإسلام رجل من أهل الكتاب، فعنده إلمام بلغة السماء، فتضمين الرسالة نصًّا من القرآن الكريم كتاب الإسلام كان في منتهى الحكمة، حيث يدعو ذلك هِرَقْل إلى مقارنة ذلك بما عنده مكتوبًا في الإنجيل، فلعل هذه المقارنة تهديه إلى طريق الرشاد، فيسلم مع محمد – ﷺ – لله رب العالمين " [(١)]، كما أشار الشيخ أبو بكر الجزائري إلى علة اقتباس النبي – ﷺ – لتلك الآية الكريمة من سورة آل عمران فقال: " وإن هذه الآية الكريمة صورة سامية من الدعوة إلى الحق. ولذا كان يتخذها النبي – ﷺ – منهاجه في دعوته، فقد كانت في الصيغة التي اختارها في دعوة الملوك والحكام الكبراء إلى الإسلام " [(٢)].

هذا وقد جاءت هذه الرسالة النبوية على وجازتها آية في البلاغة والفصاحة والبيان ؛ ولعل هذا السحر البياني هو الذي دفع ابن حجر أن يقول في ثنايا تعليقه عليها: " وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمّنها بعض هذا الكتاب على الأمر بقوله: " أسلمْ "، والترغيب بقوله: " تَسْلَمْ "، والزجر بقوله: " فإن تولّيْتَ "، والترهيب بقوله: " فإن عليك "، والدلالة بقوله: " يا أهل الكتاب "، وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى، وكيف لا وهو كلام من أُوتيَ جوامع الكَلِم"[(٣)].

(١) أضواء على البلاغة النبوية: ٣٣.
(٢) زهرة التفاسير: ٣ / ١٢٦٠ / دار الفكر العربي / بدون تاريخ.
(٣) فتح الباري: ١ / ٣٩، ٤٠.

## المبحثُ الثاني: رِسالةُ النبيِّ– ﷺ – إلى المُقَوْقِسِ مَلِكِ القِبْطِ:

**"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ [1] ورَسُولِهِ [2]، إلى المُقَوْقِسِ [3] عَظِيمِ القِبْطِ، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى. أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعايةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ القِبْطِ، ﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [4] [5].**

**إن المتأمل في رسالة النبي – ﷺ – هذه إلى المُقَوْقِس عظيم القِبْط يجد أنها نفس رسالته إلى هِرَقْل عظيم الرُّوم السابقة، ولا يوجد بينهما اختلاف إلا في اسم المُرْسَل إليه التي وُجِّهَتْ إليه كلُّ واحدة منهما، وجنس شعبه الذي يحكمه، ويقوم بأمره، وكأنهما رسالة واحدة.**

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٣٥ ـ ١٣٧ / بلفظ " مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسُولِهِ " كما ورد في كتابه - ﷺ - إلى هِرَقْل. البحث صـ ١٠.

(٢) بلفظ " ورسوله " كما جاء عند ابن القيم. زاد المعاد: ٣ / ٦٠٣ / ابن قيّم الجوزيّة / تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م

(٣) المُقَوْقِس:لقب عند العرب لمن ملك الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت، والنائب العام للدولة البيزنطية، واسمه جُرَيْج بن مِينا. البداية والنهاية: ٦ / ٤٩١، ٤٩٢ / ابن كثير / تحقيق: د / عبد الله عبد المحسن التركي / هجر/ الجيزة / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م، وينظر: عيون الأثر: ٢ / ٣٥٢، السيرة النبوية: ٢٩٥، ٢٩٦ / أبو الحسن الندوي.

(٤) آل عمران: ٦٤.

(٥) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٨١، ٨٢، عيون الأثر: ٢ / ٣٥٠، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٣، نصب الراية: ٤ / ٤٢١، ٤٢٢ / الزَّيْلَعيّ / تحقيق: محمد عوامة / مؤسسة الريان / بيروت / لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ١١٠ / ابن حُدَيْدة الأنصاريّ / تحقيق: محمد عظيم الدين / عالم الكتب / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م، صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٨، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤٥، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٩، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤٢، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٣٥، ١٣٦، الرحيق المختوم: ٣٢٢.

فهِرَقْل ملك الرُّوم، والمُقَوْقِس عظيم القِبْط، وكل واحد منهما دُعِيَ إلى نفس ما دُعِيَ إليه الآخر، وحُذِّرَ في حال تولّيه وإعراضه مما حُذِّرَ منه الآخر، ودُعِيَ إلى الاحتكام إلى ما تضمنته الآية القرآنية المباركة من سورة آل عمران.

كما نلحظ في هاتين الرسالتين من مواضع الاتفاق أيضًا أنه لما كان كلٌّ من هِرَقْل والمُقَوْقِس يدين بألوهية عيسى عليه السلام – كليًّا أو جزئيًّا، أو بأنه ابن الله – تعالى الله – ﷻ – عن ذلك علوًّا كبيرًا – جاء التعبير في الكتابين بلفظ " عبد الله " مع اسم النبي ﷺ ؛ ليَعْلَمَ هذان أن الخلق كلهم عبيد لله ﷻ، ولن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله – ﷻ – ولا الملائكة المُقَرَّبون.

ولعل السر والسبب في ذلك الاتفاق بين الرسالتين هو أن مصر في ذلك الوقت الذي أرسل فيه النبي – ﷺ – رسالته إلى المُقَوْقِس عظيم القِبْط كانت تحت سيطرة الحكم الرُّوماني ونفوذه، وكان المُقَوْقِس حاكمًا على مصر من قِبَل هِرَقْل، وكان يدين نفس النصرانية التي كان يدين بها هِرَقْل بما فيه من تحريف وفساد، وبالتالي كان يجد في نفسه أنه لن يسمح له بأخذ أي قرار أو تصرف يخالف ما عليه سيّده هِرَقْل، وبما أن المُقَوْقِس كان حاكمًا من قِبَل هِرَقْل، وكان يدين بنفس عقيدته، ويعتنق نفس فكره، ويدور معه في فلكه وذهنيته، فلا غرو إذن أن تكون الرسالة المُوَجَّهة إليهما واحدة لفظًا ومضمونًا، ولا عجب كذلك في أن يرفض المُقَوْقِس دعوة رسول الله – ﷺ – ويأبى الدخول في الإسلام، ويَضِنّ بملكه، فيذهب بعد ذلك ويبيد، كما رفض هِرَقْل الدخول في الإسلام، وضَنَّ بملكه،فذهب ملكه بعد ذلك وباد، ومات على نصرانيته، ولم يسلم، كما مات هِرَقْل على نصرانيته أيضًا، ولم يسلم، فالرسالة واحدة، والرد واحد، والسبب لدى كلٍّ منهما في رده واحد، ونتيجة الرفض لدى كلٍّ منهما أيضًا واحدة !!!

يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي: " وبهذا سَلَكَ المُقَوْقِس مع النبي – ﷺ – مسلك هِرَقْل مَلِك الرُّوم، فلم يُسْلِمْ، ولكنه ردَّ رسوله ردًّا جميلًا، والناس على دين ملوكهم، ولعله فعل ذلك بأمر من هِرَقْل " [1].

وبما أن لفظ الرسالتين واحد فقد اكتفيت بتحليل واحدة منهما، وهي رسالة النبي – ﷺ – إلى هِرَقْل خشية التكرار غير المفيد.

(١) السياسة الإسلامية في عهد النبوة: ١٥٧ / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ.

## المبحثُ الثالثُ: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى النَّجاشيّ مَلِكِ الحَبَشة:

**" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ إلى النَّجاشيِّ [(١)] مَلِكِ الحَبَشةِ، سِلْمٌ أَنْتَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الذي لا إِلَهَ إلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ، وأَشْهَدُ أَنَّ عِيْسى بْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ، أَلْقاها إلى مَرْيَمَ البَتُولِ [(٢)] الطَّيِّبةِ الحَصِينةِ [(٣)]، فَحَمَلَتْ بِهِ، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ونَفْخِهِ كَما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وإِنِّي أَدْعُوكَ إلى اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، والمُوالاةِ على طاعَتِهِ، وأَنْ تَتَّبِعَني، وتُؤْمِنَ بالذي جاءني ؛ فَإِنّي رَسُولُ اللهِ، وإِنّي أَدْعُوكَ وجُنُودَكَ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وقَدْ بَلَّغْتُ ونَصَحْتُ، فاقْبَلُوا نَصِيحَتي، والسَّلامُ على من اتَّبَعَ الهُدى " [(٤)].**

---

(١) النّجاشيّ: لقب لمن ملك الحبشة،ولقد اختلف المؤرخون وكتاب السيرة النبوية وشرّاحها في النّجاشيّ الذي كتب إليه النبي - ﷺ - بالإسلام فأسلم وصلّى عليه، فمنهم من يرى أنه هو الذي نعاه النبي إلى أصحابه وصلّى عليه سنة تسع من الهجرة واسمه أَصْحَمة بن أَبْحُر. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤٤، السيرة النبوية: ٢٩٩ / أبو الحسن الندوي، ومنهم من يرى أنه نجاشيّ آخر. الوفا بأحوال المصطفى: ٢ / ٤٦٦ / ابن الجوزي / تحقيق محمد زهري النجّار / المؤسسة السعدية / الرياض / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ. ولكن الراجح أنه نجاشيّ واحد من أول الأحداث إلى نهايتها، وأنه هو الذي نعاه النبي إلى أصحابه وصلّى عليه سنة تسع من الهجرة واسمه أَصْحَمة بن أَبْحُر. الرسول المبلغ: ١٩٧ - ١٩٩، وهكذا قال أيضًا عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط محققا كتاب إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٥٨ / هامش رقم: ٣٢.

(٢) البَتول: المنقطعة عن الرجال، والتي لا شهوة لها، ولا أَرَبَ لها فيهم، وبهذا سُمِّيَتْ مريم أم المسيح عليهما السلام، وسُمِّيَتْ السيدة فاطمة - رضي الله عنها - بنت سيد الخلق - ﷺ - بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها عَفافًا وفضلًا ودينًا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله ﷻ، والتَّبَتُّل: الانقطاع، يقال: بَتَلَه يَبْتُله ويَبْتِله - بضم التاء وكسرها - بَتْلًا: قطعه. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٩٤، لسان العرب / مادة: بتل.

(٣) الحَصينة: العفيفة الطاهرة، وأصل الإحصان: المنع، والمرأة الحَصان والحاصن البَيِّنة الحصانة، والمُحْصَنات: العفائف من النساء، يقال: أحصنت المرأة: عَفَّتْ. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١ / ٣٩٧، لسان العرب / مادة: حصن.

(٤) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٥٤، وينظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٢، الوفا بأحوال المصطفى: ٢ / ٤٦٤، عيون الأثر: ٢ / ٣٤٩، زاد المعاد: ٣ / ٦٠١، ٦٠٢، نصب الراية: ٤ / ٤٢١، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ٣٣، ٣٤، صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٩، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤٣، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٧ / بلفظ "وتُوفِّيَ =

إن المتأمل في رسالة النبي – ﷺ – إلى النجاشي – رضي الله عنه – يجد أنها تختلف عن رسالته إلى هِرَقْل عظيم الروم بعض الاختلاف، من ذلك أن رسالة النبي – ﷺ – إلى هِرَقْل لم يذكر فيها سوى الأمر بالإسلام والدعوة إلى التوحيد الذي هو أساس الإسلام وأصله وعموده ؛ وذلك لأن المسيحية التي كان يدين بها الروم قد شابها كثير من التحريف والفساد كتثليث الألوهية، وادعاء البنوّة لله، هذا فضلًا عما كان يفعله الروم مع هِرَقْل من سجود له، وتعظيم يشبه تعظيم الإله، والعياذ بالله، وغير ذلك من الأمور الباطلة، أما رسالة النبي – ﷺ – إلى النجاشي – وإن كانت أيضًا تدعو إلى التوحيد – فإنها أشبه ما تكون برسالة مُوَجَّهة إلى رجل مسلم، وليس نصرانيًّا، ؛ ولعل ذلك لأن المسيحية التي كان يدين بها النجاشي – رضي الله عنه – كانت تبعد كثيرًا عن التحريف الذي أصاب المسيحية التي كان يدين بها الروم، حيث كانت أقرب كثيرًا إلى المسيحية الصحيحة غير المحرفة، يقول الدكتور / صلاح عبد الفتاح الخالدي: " وقد كان النجاشي (أصحمة ) نصرانيًّا على المذهب النصراني الذي يؤمن أن عيسى – عليه السلام –هو عبد الله ورسوله، وأنه ليس إلهًا، ولا ابنًا لله ؛ ولهذا كان على خلاف المذهب النصراني الرسمي الذي يدين به النصارى في روما، أو في القسطنطينية " (١).

ومن ذلك الاختلاف بين الرسالتين أيضًا أن الترغيب واللين في رسالة النبي – ﷺ – إلى النجاشي – رضي الله عنه – أكثر من الترغيب واللين واللطف في رسالته إلى هِرَقْل ؛ ولعل ذلك يرجع إلى أثر الصحابة – رضي الله عنهم – الذين هاجروا إلى الحبشة في أهلها، وعلى رأسهم النّجاشيّ، بينما كان هِرَقْل يسيطر عليه مُلْكُه وأهل مملكته، وبعض التحريف في المسيحية التي كان يدين بها، الأمر الذي جعل النّجاشيّ يكرم الرسالة ورسولها، ويذعن ويَسْلِم لدعوة مرسلها، ويدخل في الإسلام، بينما رفض هِرَقْل الدخول في الإسلام، بل قاد حربًا ضد المسلمين بعد ذلك في غزوة مؤتة.

---

=بالذي جاءني "، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤١ / بلفظ " كما خَلَقَ آدَمَ بيدِهِ ونَفْخِهِ "، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٠٠، الرحيق المختوم: ٣٢١.

(١) الرسول المبلغ: ١٧٤.

وقد بدأ النبي – ﷺ – رسالته هذه بالبسملة، ثم أتبعها باسم المُرْسِل وصفته والمُرْسَل إليه وصفته فقال:" بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ إلى النَّجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشةِ " كما بدأ كذلك رسالته إلى هِرَقْل مَلِك الرُّوم.

ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – عرّف صفته في رسالته إلى النجاشي بصفة واحدة، وهي الرسالة في قوله: " رسول الله "، بينما عرّف صفته في رسالته إلى هِرَقْل بصفتي العبودية والرسالة في قوله: " عبد الله ورسوله " [1]، ولعل ذلك يرجع إلى أن المسيحية التي كان يدين بها هِرَقْل قد غُمَّتْ حقيقتها وأصولها من التحريف الذي أصابها من المنتسبين إليها، حيث جعلوا من المسيح – عليه السلام – ابنًا لله، أو جزءًا من الإله، وهذا يستدعي وصف النبي – ﷺ – بالعبودية، بينما كانت المسيحية التي كان يدين بها النجاشي أقرب إلى المسيحية الصحيحة الحقّة التي تنطق بعبودية المسيح – عليه السلام – لله رب العالمين ﷻ.

وذكر النبي – ﷺ – النجاشي – رضي الله عنه – بصفة " مَلِك الحبشة "، ولم يذكره بصفة " عظيم " كما ذكر مع هِرَقْل وغيره ؛ لما علم فيه من العلامات الدالة على أنه سيسلم ؛ لما رأى من حسن صنيعه مع المسلمين الذين هاجروا إليه من الإحسان ومَنْع الأذى ممن أراده بهم، أو لأنه – ﷺ – علم بالوحي من الله أنه يُسْلِم [2].

ثم جاء النبي – ﷺ – بعد البسملة وذكر كلاً من المُرْسِل والمُرْسَل إليه وصفة كلٍّ منهما بجملة التحية، وهي غاية في الجمال واللين والسلاسة والمدح والثناء، وخاطب بها النجاشي فقال: سِلْمٌ أنتَ ".

ونجد في هذه الجملة أن النبي – ﷺ – قدم الخبر – وهو لفظة " سِلْمٌ " – على المبتدأ، وهو ضمير المخاطب " أنتَ " ؛ لتكون هذه اللفظة اللينة الناعمة بما توحي به من دلالات أول ما يقرع سمع النجاشي من مضمون تلك الرسالة، وذلك غاية في حسن الابتداء وبراعة الاستهلال.

(١) البحث صـ ١٠.
(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ٥ / ٢٠.

ونلحظ أن النبي – ﷺ – عبر بصيغة المصدر للدلالة على المبالغة في ذلك الوصف، وكأن السِّلْم قد تجسّد في شخص النجاشي، وارتسم في صورته حتى كأنهما سواء.

وهذه اللفظة " سِلْمٌ " تحتمل أن تكون إخبارًا من النبي – ﷺ – بأنه من أهل السِّلْم والصلح، أي أنت مسالم ومصالح، وتحتمل أن تكون دعاء له، أو بشارة منه – ﷺ – له بأن يكون ذا سلامة ؛ لما علمه من صدقه ومحبته وحسن حاله(١).

وفي استخدام ضمير الخطاب " أنتَ " دلالة على تعيين المخاطب وتحديده وتمييزه حتى لا يظن أن الخطاب ينصرف إلى غيره، أو يشمله هو وغيره.

ثم استأنف النبي – ﷺ – حديثه إلى معنى آخر فقال: " فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الذي لا إِلَهَ إلا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ "، وأكد ذلك المعنى الذي استأنفه بـ " إن " واسمية الجملة وتكرار إسناد الفعل، حيث أسند مرة إلى اسم " إن " ومرة أخرى إلى الضمير المستتر وهو الفاعل لقوة إحساسه وشعوره بهذا المعنى، وليقرره ويرسمه قويًّا مؤكدًا في ذهن النجاشي.

وعبر بالفعل " أَحْمَدُ " بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن ذلك الحمد متجدد من النبي – ﷺ – وحادث باستمرار شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وقدم المتعلق الجار والمجرور " إليك " على لفظ المفعول، وهو لفظ الجلالة " الله " ؛ للاهتمام بتعيين المخاطب، أي إليك لا إلى غيرك.

وحرف الجر " إلى " هنا يحتمل أن يكون على حقيقته، أي أحمد الله، وأثني عليه، وأشكره على ما أنعم به عليك من النعم، وعلى تحديثك إياها، وكأن النبي

(٣) السابق نفسه.

– ﷺ – ينوب عنه في حمد الله ﷻ، والثناء عليه [(١)]، ويحتمل أن يكون بمعنى " مع "، أي أحمد معك الله ﷻ، وأشاركك في شكره والثناء عليه ؛ لما أنعم به عليك من النعم [(٢)].

وعبر النبي – ﷺ – بلفظ الجلالة " الله " العَلَم على الذات العليّة، والجامع لكل صفات الجلال والجمال والكمال إيذانًا بإعلان الألوهية لله – ﷻ – وحده جلّ في علاه، وإبطالًا لأي اعتقاد آخر ينسب الألوهية لغيره ﷻ.

ثم وصف النبي – ﷺ – الله – ﷻ – بقوله: " الذي لا إله إلا هو المَلِك القدّوس السلام المؤمن المهيمن "، وهذه الصفات رُوِيَتْ بالنصب على الإتباع للمنعوت " اللهَ " [(٣)]، ورُوِيَتْ بالرفع على القطع [(٤)].

فعلى رواية النصب على الإتباع يكون الغرض منها هو الإيضاح والبيان، وكأن النبي – ﷺ – بعد أن ذكر لفظ الجلالة " الله " أراد أن يوضح للنجاشي أن الإله الذي أدعوك إلى توحيده هو الله الموصوف بهذه الصفات، والمنعوت بتلك النعوت، وكأن النجاشي – رضي الله عنه – لا يعرف الله – ﷻ – إلا موصوفًا بها.

وعلى رواية الرفع على القطع على أنها أخبار لمبتدأ مضمر، والتقدير: " هو الله الذي لا إله إلا هو الملكُ... " يكون الغرض من ذلك القطع هو المدح والثناء على الله ﷻ، وكأن النجاشي – رضي الله عنه – كان يعلم أن هناك إلها، ولكنه لم يعلم أنه – ﷻ – مميّز بهذه الصفات، ومتفرّد بتلك النعوت، فذكرها النبي له، وكأنه يريد أن يقول له: " فإني أحمد إليك الله المتميز بهذه الصفات، والمتفرد بتلك النعوت مدحًا وثناء ".

---

(١) جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤١ / هامش رقم: ٣، شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٩٤.
(٢) جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤١ / هامش رقم: ٣.
(٣) صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٩، شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٩٣.
(٤) زاد المعاد: ٣ / ٦٠١، ٦٠٢، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٥٤، الرسول المبلغ: ١٨٩.

ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – أتى بهذه الصفات اقتباسًا من قول الله – ﷻ – : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)، وقد أضفى ذلك الاقتباس على تلك الرسالة النبوية ضربًا رائعًا من الحسن، وخلع عليها لونًا بديعًا من الجمال، وهكذا تكون الجملة القرآنية إذا اقتبسها بليغ حاذق صَناع أضاءت مكانها وما حولها.

ولقد بيّن الدكتور / محمد محمد أبو موسى سرّ اختيار هذه الأسماء الحسنى فقال: " ثم إن اختيار هذه الأسماء، وأنه – عليه السلام – لم يقل – مثلًا –: " أحمد إليك الله القهّار الجبّار المتكبّر " ضرب من الملاءمة الخفية، فقد ذكر من الكمالات المطلقة المَلِك القدّوس السلام المؤمن المهيمن، وهذه الكمالات المطلقة لا يتسع الوجود إلا لواحد منها، فلا يُتَصَوَّر في الوجود مَلِكٌ مطلق المِلْك ليس لمُلْكه حدود إلا مَلِك واحد، وكل مِلْك بعد هذا المِلْك، وكل قداسة بعد هذه القداسة، وكل هَيْمَنة بعد هذه الهَيْمَنة إنما هي ناقصة لا محالة ؛ لأن الكمالات المطلقة لا تَتَعَدَّد، ولو تَعَدَّدَتْ لم تَعُدْ كمالات " (٢).

ومن ينظر ويتأمل الترتيب الذي جاءت عليه هذه الصفات يجد أنها رُتِّبَتْ ترتيبًا محكمًا متسلسلًا مترابطًا، بحيث تؤذن الصفة السابقة باللاحقة، وتنبئ بها، وبحيث تأتي الصفة اللاحقة مبنيّة على الصفة السابقة، وتابعة لها.

فابتدأ النبي – ﷺ – هذه الصفات بصفة الوحدانية، وهي مدلول جملة " لا إله إلا هو " ؛ لأن هذه الصفة هي الأصل والأساس فيما يتبعها ويُبْنى عليها من الصفات الأخرى، وهي المقصود الأصلي من بعثة الرسل، وهي أول ما يطلب ممن يُدْعى إلى الإسلام، وهي الباب الذي يدخل منه الإنسان إلى الإسلام.

والناظر في الأسلوب الذي بُنِيَتْ عليه هذه الصفة يجد أنها قد جاءت في أسلوب قصر عالي النبرة، شديد الوَقْع، ألا وهو أسلوب النفي والاستثناء الذي لا

(١) الحشر: ٢٣.
(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٩٥.

يأتي إلا في المعنى الذي من شأنه أن ينكره المخاطَب، أو يشك فيه، والذي من شأنه أن يحتاج إلى فضل تقرير وزيادة توكيد، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى عن ذلك الأسلوب: " ولا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقاك النبرة العالية، والنغمة الحاسمة، والتعبير الشديد " (١).

وقد قصرت هذه الجملة المحكمة " لا إله إلا هو " صفة الألوهية على الله – ﷻ – المُعَبَّر عنه بالضمير " هو " العائد على لفظ الجلالة " الله "، ونفته عن كل من سواه مما ادُّعِيَتْ له الألوهية، وذلك من باب القصر الحقيقي التحقيقي ؛ لأن المنفي فيه عام، وذلك ما يطابقه الواقع، وتؤكده الشواهد.

وقد جمعت هذه الجملة الموجزة بين ثبوت ما يستحيل نفيه – وهو ثبوت الألوهية لله ﷻ – ونفي ما يستحيل ثبوته، وهو نفي صفة الألوهية عن كل من سوى الله ﷻ.

وقد بدأت هذه الجملة بالنفي ؛ لأن النفي تفريغ للقلب، وتطهير له من الأغيار، وصقل لجوهره وتهيئة له لاستجلاء الأنوار، وحصول الأسرار، فإذا أصبح خاليًا كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه، وامتلائه بسلطانه، وإشراق نور الله – ﷻ – عليه (٢).

وجاءت لفظة " إله "نكرة في سياق النفي لإفادة العموم والشمول، أي ليكون مستغرقًا لكل أفراد ذلك المفرد، ومتوجهًا إليها فردًا فردًا، ما عدا المستثنى من ذلك، وهو الله ﷻ، وجاءت مفردة ؛ لأن " استغراق المفرد أكثر تناولًا لأفراد المسمى من استغراق الجمع، بدليل صحة " لا رجال في الدار " إذا كان فيه رجل أو رجلان، دون " لا رجل " فإنه لا يَصْدُق إذا كان فيها رجل أو رجلان"(٣).

ثم عقّب النبي – ﷺ – بصفة " المَلِك " بعد صفة الوحدانية للدلالة على أن الله – ﷻ – الواحد الأحد الفرد الصمد هو المتفرّد بالعز والسلطان، وهو الذي

(١) دلالات التراكيب: ١٠٥.
(٢) معنى " لا إله إلا الله ": ٨٢.
(٣) السابق: ٩٠.

من شأنه أن يكون له المِلْك المطلق لجميع الأشياء، والتصرف التام بالأمر والنهي، والإعزاز والإذلال حسب مشيئته ووفق إرادته بحيث لا ينازعه في ذلك لأي أحد.

وذكر " القُدّوس " بعد " المَلِك " احتراسًا وإشارة إلى أن الله – ﷻ – مُنَزَّه عن كل عيب وشين، ومُنَزَّه كذلك عن نقائص الملوك المعروفة كالظلم والاستبداد والاسترسال في الشهوات، وغير ذلك من نقائص النفوس [(١)]، ولا يخفى ما في التعبير بهذه الصيغة من الدلالة على المبالغة، فالله – ﷻ – بليغ في النزاهة عما يشين ويستقبح.

وبعد أن عَقَّب بوصف " القُدّوس " الدالّ على نزاهة ذات الله – ﷻ – عقّب بوصف " السَّلام " للدلالة على العدل في معاملته الخلق [(٢)]، وقد يكون ذلك من باب التأكيد، ويكون معنى " السَّلام " السليم من النقائص والآفات، وفي مجيء التعبير هنا بالمصدر " السَّلام " دلالة على المبالغة في كونه – ﷻ – سليمًا من كل نقص وآفة.

وجاء ذكر الوصف بـ " المؤمن " بعد الأوصاف التي قبله إتمامًا للاحتراس من توهّم وصفه – ﷻ – بـ " المَلِك " أنه كالملوك المعروفين بالنقائص، فأُفيدَ أولًا نزاهة ذاته بوصف " القُدّوس "، ونزاهة تصرفاته المُغَيَّبة عن الغدر والكيد بوصف " المؤمن "، ونزاهة تصرفاته الظاهرة عن الجور والظلم بوصف " السَّلام " [(٣)].

وتعقيب " المؤمن " بـ "المُهَيْمِن " لدفع توهّم أن تأمينه عن ضَعْف، أو عن مخافة غيره، فتأمينه خَلْقَه مع أنه رقيب مطلع على أحوالهم رحمةٌ بهم [(٤)].

وجاءت هذه الصفات الخمس " المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ " بدون عطف ؛ لأن المقصود هو الوصف بها وإثبات الكمال فيها مجتمعة، وكأن هذه الصفات تلاقت من داخلها، وشكلت صفة واحدة تشتمل عليها، هذا

(١) التحرير والتنوير: ٢٨ / ١٢٠.
(٢) السابق: ٢٨ / ١٢١.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق: ٢٨ / ١٢٢.

بالإضافة إلى أن الأصل في أسماء الله – ﷻ – أن تأتي بدون عطف ؛ لأنها أعلام على ذاته المقدّسة، والشيء لا يعطف على نفسه [1]، وذلك من أدق الأسرار وألطفها.

يقول ابن القيم: " وأما في أسماء الربّ – تبارك وتعالى – فأكثر ما يجيء في القرآن بغير عطف " [2] ؛ وذلك لأنها أسماء متعددة لمسمى واحد، وهو الله تقدّست أسماؤه وصفاته، ولأن المقصود من الوصف بها غالبًا هو إثبات الكمال فيها مجتمعة، وذلك لا يكون إلا لله ﷻ، لكن ذكرها معطوفة فقد يكون لإظهار الكمال في كل صفة على حدتها، أو لما بينها من تضاد، أو لاعتبار آخر.

وبعد أن حَمِدَ النبي – ﷺ – اللهﷻ، وذكر بعض صفاته العليّة، أخذ يلاطف النجاشي ويؤانسه ويستميل قليه ببيان حقيقة نبي الله عيسى – عليه السلام – كما هي موجودة عنده، وذلك من القدر المشترك بين المسلمين والمسيحيين، فقال: " وأَشْهَدُ أَنَّ عِيْسى بْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللهِ وكَلِمَتُهُ، أَلْقاها إلى مَرْيَمَ البَتولِ الطَّيِّبةِ الحَصينةِ، فَحَمَلَتْ بِهِ، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ونَفْخِهِ كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ".

وعطفت جملة " أشهد أن عيسى بن مريم روح الله " على جملة " أحمد إليك الله " الواقعة خبرًا لـ" إن " للتشريك في الحكم الإعرابي، وكأنها خبر بعد خبر.

وعبر النبي – ﷺ – بالفعل " أشهد " بصيغة المصارع للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن هذه الشهادة تحدث وتتجدد باستمرار شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وفي التعبير بهذا الفعل " أشهد " بدلًا من " أعلم "– مثلًا – إخراج للأمر المعقول في صورة المشاهد المحسوس، وتصوير له بصورة المرئيّ الملموس، وذلك أبلغ في إثبات تلك الحقيقة.

وفي قوله – ﷺ –: " عيسى بن مريم " لون بديعي خلاب، وهو الاطراد، حيث أتى النبي باسم عيسى – عليه السلام – ثم باسم أمه بناء على ترتيب الولادة بلا

(١) أسماء الله وصفاته: ٨٥ / د / عمر سليمان الأشقر / دار النفائس / عمّان / الأردن / الطبعة الثانية / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
(٢) بدائع الفوائد: ١ / ٣٣١.

تكلف ولا تعسف، حتى جاء ذلك منه كالماء الجاري سهولة وانسجامًا، وفي ذلك الاطراد ضرب من التوضيح والإبانة ؛ لأن " عيسى بن مريم " أوضح وأبين من "عيسى " فقط.

وأخبر عن " عيسى بن مريم " بأنه " روح الله وكلمته " لبيان حقيقته، وهي أنه روح من الأرواح التي هي عناصر الحياة، ولكنها نُسِبَتْ إلى الله ﷻ ؛ لأنها وصلت إلى مريم بدون تَكَوُّنٍ في نطفة، وبهذا امتاز عن بقية الأرواح، وقيل: إنه لما غلبت على نفسه المَلَكِيّة وُصِفَ بأنه روح، كأن حظوظ الدنيا مُجَرَّدة عنه، وقيل: إن المقصود بالروح هنا النفخة التي نفخها جبريل – عليه السلام – في مريم بأمر من الله ﷻ، والعرب تسمي النَّفْخَ روحًا كقول ذي الرُّمّة يذكر لرفيقه أن يوقد نارًا بحطب:

فَقُلْتُ لَهُ: ارْفَعْها إِلَيْكَ وأَحْيِها  بِرُوْحِكَ واقْتُتْهُ لها قِيْتةً قَدْرا[1]

أي بنفخك [2].

وأنه أيضًا كلمة الله، أي أنه أثر لكلمة الله " كُنْ "، والكلمة هي التكوين، ووُصِفَ بذلك ؛ لأنه لم يكن لتكوينه التأثير الظاهر المعروف في تكوين الأجنة، فكان حدوثه بتعلق القدرة [3].

والحكمة في وصف النبي – ﷺ – نبيَّ الله عيسى – عليه السلام – بهذين الوصفين ومخاطبة النّجاشيّ بذلك هي وقوعهما في الإنجيل، أو في كلام الحواريين وصفًا لعيسى عليه السلام، وقد كان هذان الوصفان مفهومين لدى من صَحَّتْ مسيحيته، وبعدت عن التحريف، ولعل النّجاشيّ – رضي الله عنه – وقتذاك كان منهم [4].

وفي إضافة " رُوح " إلى لفظ الجلالة، و " كلمة " إلى الضمير العائد عليه ضرب من التشريف، ولون من التكريم والتعظيم.

---

(١) ديوان ذي الرُّمّة: ٨٨ / من بحر الطويل / تحقيق: أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
(٢) روح المعاني: ٣ / ١٩٩، ٢٠٠، التحرير والتنوير: ٦ / ٥٢.
(٣) التحرير والتنوير: ٦ / ٥٢.
(٤) السابق: ٦ / ٥٣.

وفي قوله – ﷺ –: " رُوحُ اللهِ وكلمتُهُ " إيجاز بحذف المضاف، والتقدير: روح الله وأثر كلمته، وإنما حُذِفَ لوضوحه، وطلبًا للإيجاز والاختصار في الأسلوب.

وفي إسناد الإلقاء إلى الله – ﷻ – في قوله – ﷺ –: " وكلمته ألقاها إلى مريمَ البَتولِ الطيّبةِ الحَصينةِ " مجاز عقلي بعلاقة السببية ؛ لأن الله هو الذي أمر بالإلقاء، والذي قام به هو المَلَك جبريل عليه السلام.

وقد وصف النبي – ﷺ – السيدة مريم – عليها السلام– بثلاث صفات، وهي " البَتول الطيّبة الحَصينة "، والغرض من ذلك الوصف هو الإيضاح والبيان، والمدح والثناء، أما من حيث الإيضاح والبيان فلكون المنعوت " مريم " معرفة، وأما من حيث المدح والثناء فلما تحمله هذه الصفات من دلالات مدح وثناء على السيدة مريم، فقد وصفها النبي – ﷺ – بـ " البتول " لانقطاعها عن الرجال، فلم تتزوج، وجاء إنجابها كرامة لها من الله ﷻ، ووصفها بـ " الطيّبة " لطيب نفسها وتحليها بالمكارم والفضائل والمحاسن، وبُعْدها عن الجهل والفسوق والمساوئ، ووصفها بـ " الحَصينة " لعفتها وطهارتها من الفواحش والرذائل.

وقد جاء النبي – ﷺ – بهذه الصفات الثلاث مرتبة ترتيبًا منطقيًّا، حيث بدأ بالبتول، أي المنقطعة عن الزواج، ولئلا يظن البعض أنها منقطعة عن الرجال بالزواج في إطار الحلال، ويتهمها بالفاحشة – والعِياذ بالله – في إطار الحرام أتبع ذلك الوصف بـ " الطيّبة " التي طابت نفسها وأخلاقها، وبما أنها كذلك فهذا يُسْلِمنا إلى الصفة الثالثة، وهي " الحَصينة "، أي العفيفة الطاهرة من كل فاحشة ورجس ودَنَس.

وذكر النبي – ﷺ – هذه الصفات بدون عطف ؛ لأن المقصود هو الوصف بها مجتمعة، ولأنها صفات متداخلة مترابطة، وكأنها تلاقت من داخلها، وتداخلت حتى شكلت صفة واحدة، وذلك أبلغ في المدح والثناء.

وجاءت هذه الصفات بالجر على الإتباع للموصوف هكذا " إلى مريمَ البَتولِ الطيّبةِ الحَصينةِ " ؛ لأن المنعوت عُرِف وتميّز بها، حتى أصبحت كالعلم على

السيدة مريم، ويجوز لغة – وإن كانت العبرة هنا بالرواية لا بالرأي – قطع هذه الصفات بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، أو بالنصب على أنها مفعول به لفعل مضمر، وذلك بغرض المدح والثناء، ولكن الإتباع هنا أولى نظرًا للالتزام بالرواية، ونظرًا لأن هذه الصفات أصبحت ملازمة للسيدة مريم – عليها السلام – حتى أصبحت تُعْرف بها، وكأنها أعلام عليها.

ثم قال – ﷺ – في تمام بيانه لحقيقة نبي الله عيسى – عليه السلام –: "فَحَمَلَتْ بِهِ، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ونَفْخِهِ كَما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ ".

وعطفت جملة " حملت به " على جملة " ألقاها " بالفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب والسرعة، أي أنها مجرد أن تم إلقاء روح نبي الله عيسى – ﷺ – فيها حملت مباشرة بدون فاصل ولا مهلة، وذلك لكمال قدرة الله – ﷻ – وإرادته، وكذلك عطفت جملة " خلقه من روحه ونفخه " على جملة " حملت به " بالفاء أيضًا للدلالة على أن خلق الله – ﷻ – لنبيه عيسى من روحه ونفخه كان سريعًا وعقب الحمل مباشرة.

وإضافة كلٍّ من " روح " و " نفخ " إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة للتشريف والتعظيم، وهل هناك تشريف وتعظيم أفضل من إضافتها إلى الله ﷻ.

وعَطْف النفخ على الروح هنا إما لتغايرهما، وإما لاتحادهما بناء على رأي من يسمي الروح نفخًا، ويكون ذلك من باب عطف الترادف تفسيرًا للروح، وتوكيدًا وتقريرًا للمعنى.

وشبه النبي – ﷺ – خلق سيدنا عيسى بخلق سيدنا آدم – عليهما السلام – من حيث مجيء كلٍّ منهما بطريقة مخالفة لما عليه طريق خلق البشر العاديين من حيث وجود الأب والأم، فها هو سيدنا آدم خُلِق من غير أب ولا أم، وسيدنا عيسى خُلِق من أم دون أب، وليس حال خلق عيسى بأعجب من حال خلق آدم عليهما السلام، ولكنها قدرة الله – ﷻ – المطلقة، يقول للشيء كن فيكون، وذلك من تشبيه الغريب بالأغرب، وذلك أقطع للخصم، وأوقع في النفس، وفي

هذا التشبيه إشارة إلى قول الله – ﷻ –: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١).

ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – استخدم أداة التشبيه الكاف ؛ لأنها " تفيد المشابهة على المقاربة، لا على المبالغة التامة في المشابهة بين الطرفين " (٢)، حيث إن المقصود من هذا التشبيه هو المقاربة للمخاطب بين الصورتين، وذلك باعتبار أن طريقة خلق كلّ واحد منهما مخالفة لطريقة خلق بقية البشر.

وفي ذكر اليد وإضافتها إلى الضمير العائد إلى الله – ﷻ – هنا في جملة " كما خلق آدم بيده " مجاز مرسل بعلاقة السببية، حيث ذكر النبي – ﷺ – اليد، والمراد القدرة الإلهية، وإنما جاء التعبير عن القدرة باليد ؛ لأن اليد سبب فيها.

ونلحظ هنا أن الرسول – ﷺ – أبان للنّجاشيّ عن حقيقة نبي الله عيسى – عليه السلام – كما جاءت في القرآن والإنجيل غير المحرف ملاطفة ومؤانسة له، واستمالة لفؤاده، وتطييبًا لقلبه، حيث كان يؤمن بهذه الحقيقة، وهي من القواسم المشتركة بين كلٍّ من المسيحية والإسلام، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " ورسولُ اللهِ – ﷺ – بقوله: " وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول... " يخاطب العقيدة النصرانية التي لم يداخلها الفساد والتبديل، ثم هو – عليه السلام – يشير إلى المعنى الجامع بين الإسلام والنصرانية، وأنه – عليه السلام – وهو خاتم رسل الله يشهد بما يشهد به من صح دينه من أهل النصرانية، وفي هذا من الاقتراب والملاطفة والمؤانسة ما فيه " (٣).

كما نلحظ هنا أيضًا أن النبي – ﷺ – لم يبدأ رسالته إلى النّجاشيّ بالدعوة مباشرة، بل هيّأ لذلك ومهّد أولًا مع شيء من الملاطفة، يقول الدكتور / حلمي محمد القاعود: " فهو يسبغ عليه صفة السِّلْم والسَّلام، ويحمد الله إليه، ويذكر من أسماء الله الحسنى ما يفيد المِلْك والهيمنة والقداسة والسلام والإيمان، وكأنه يُذَكِّر النّجاشيّ بهذه الصفات ؛ ليهيئه للدعوة وقبول الإسلام، ويزيد في ذلك

(١) آل عمران: ٥٩.
(٢) بيان التشبيه " دراسة تاريخية فنية ": ٣١٥ / د / عبد الحميد العيسوي / مطبعة القاهرة الجديدة / الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٩٧.

حين يشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ومعجزته التي تشبه معجزة آدم عليه السلام، وكأنه يذكر النّجاشيّ وهو المؤمن بعيسى – عليه السلام – أن الإسلام يجل المسيح وأمه البتول، مما يقربه من الدعوة التي ستوجه إليه " (١).

وبعد أن ذكر النبي – ﷺ – للنّجاشيّ بيان حقيقة نبي الله عيسى الذي يعد بمثابة التمهيد لما سيذكر بعده، انتقل إلى المقصد الأصلي والغرض المنشود من هذه الرسالة فقال: " وإِنِّي أَدْعوكَ إلى اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، والمُوالاةِ على طاعَتِهِ، وأَنْ تَتَّبِعَني، وتُؤْمِنَ بالذي جاءني ؛ فَإِنّي رَسولُ اللهِ ".

وعطفت جملة " أدعوك إلى الله وحده لا شريك له " على جملة " أحمد إليك الله "لاتحاد المسند إليه فيهما، ولكون المسند فيهما فعلًا مضارعًا، فالرسول – ﷺ – هو الذي يحمد الله، وهو الذي يدعو إليه وحده لا شريك له جلّ في علاه، وأُعِيدت " إن " مع اسمها في الجملة المعطوفة هنا زيادة في التوكيد، ولطول الفصل بين الجملتين، وفي هذا ضرب من التماسك والترابط للنص.

وفي التعبير بالفعل المضارع " أدعوك " دلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن دعوتي لك للدخول في الإسلام هي دعوة متجددة باستمرار شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وفي قوله: " إلى الله " إيجاز بحذف المضاف، والتقدير: أدعوك إلى عبادة الله، أو إلى توحيد الله، وفي هذا الحذف ضرب من الإيجاز والاختصار للأسلوب، وتخليص له من الثقل والترهل الذين يثقلان كاهله، كما فيه إثارة لحس المتلقي، وتحريك لفكره من أجل إدراك المحذوف ومعرفته.

وجاء التعبير بلفظ الجلالة " الله " دون سواه من أسماء الله الحسنى ؛ لأن المقصود هنا هو توحيد الألوهية أولًا وبالذات، هذا بالإضافة إلى أن الاسم الأعظم " الله " هو العَلَم على الذات العليّة ؛ ولذا لم يُسَمَّ به غيره، وهو الجامع لصفات الجلال والجمال والكمال، وأن أسماء الله – ﷻ – الأخرى كلها صفات له.

(١) مدخل إلى البلاغة النبوية: ٢٢٤، ٢٢٥ / دار النشر الدولي / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

وفي التقييد بالحال " وحده " دلالة على أن التوحيد الذي يدعو الرسول – ﷺ – النّجاشيّ إليه هو التوحيد الخالص البعيد عن كل أنواع الشرك صغيرًا كان أو كبيرًا، وهذه الحال من الأحوال اللازمة ؛ لأن وحدانية الله – ﷻ – صفة ثابتة له أزلًا وأبدًا.

وأتبع النبي – ﷺ – هذا الحال " وحده " بحال آخر، وهو جملة " لا شريك له "، وهذا الحال تأكيد للحال السابق ؛ لأن معنى " وحده " أنه " لا شريك له "، ومعنى " لا شريك له " أنه – ﷻ – واحد أحد، وهكذا فقد أفاد النبي – ﷺ – إثبات الوحدانية لله – تبارك وتعالى – طردًا وعكسًا، طردًا بقوله: " وحده "، وعكسًا بقوله: " لا شريك له ".

وفي استخدام أداة النفي " لا " النافية للجنس دلالة على استغراق النفي لكل أفراد جنسها " شريك "، هذا بالإضافة إلى أن مجيء النكرة في سياق النفي يدل على العموم والشمول.

وذكر النبي – ﷺ – اسم " لا " النافية للجنس بصيغة المفرد " شريك "، ولم يذكره بصيغة الجمع " شركاء " ؛ لأن استغراق المفرد أكثر تناولًا لأفراد المسمى من استغراق الجمع، أي أن النفي مُتَوَجِّه هنا لكل أفراد ذلك المفرد فردًا فردًا.

وفي هذه الجملة " لا شريك له " إيجاز بحذف خبر " لا " النافية الجنس، والتقدير، لا شريك له كائن، أو موجود، أو معبود، وفي ذلك الحذف ضرب من اختصار الأسلوب واكتنازه وتكثيفه.

وعطف النبي – ﷺ – كلًّا من " الموالاة على طاعته " و " أن تتبعني " و " تؤمن بالذي جاءني " على المضاف المحذوف في قوله: " وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له "، والتقدير: وإني أدعوك إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، واتباع النبي – ﷺ – والإيمان بما جاء به ؛ لأن هذه الأشياء من جملة ما دعا النبي النّجاشيّ – رضي الله عنه – إليه.

وبما أن الموالاة على طاعة الله – ﷻ – واتباع النبي – ﷺ – والإيمان بما جاء به من جملة العبادة التي دعا النبي النّجاشيّ إليها في قوله: " وإني أدعوك إلى الله "، أي إلى عبادة الله، فإن العطف هنا يكون من باب التأكيد لا التأسيس،

أو من باب عطف الخاص على العام، وكذلك عطف جملة " تؤمن بالذي جاءني " على جملة " تَتَّبِعَني " أيضًا من باب التأكيد لا التأسيس، أو من باب عطف الخاص على العام ؛ لأن الاتباع لا يكون في الفعل والعمل فقط، وإنما يكون في الفعل والعمل والاعتقاد [1].

وفي التعبير بلفظ " الموالاة " إشارة إلى أن المقصود المداومة والمواظبة على طاعة الله – ﷻ – بلا انقطاع، والتعبير بهذا اللفظ على زنة " المفاعلة " للدلالة هنا على المبالغة، وليس للدلالة على المشاركة.

وفي إضافة " طاعة " إلى الضمير العائد إلى لفظ الجلالة " الله " إشارة إلى أن الطاعة المقصودة هنا هي الطاعة في المعروف ؛ لأن الله – ﷻ – لا يأمر بالفحشاء.

ونلحظ أن النبي – ﷺ – غاير في أسلوب التعبير، فعدل عن التعبير بالمصدر الصريح كما في " الموالاة " إلى المصدر المؤول فقال: " أن تَتَّبِعَني، وتؤمن بالذي جاءني "، ولم يقل: " والموالاة على طاعته، واتّباعي، والإيمان بالذي جاءني "، ولعل سر هذا العدول هو أن المصدر الصريح يدل على الحدث فقط دون التقييد بزمن المُضِيّ أو الاستقبال، والنّجاشيّ – ﷺ – كان عابدًا لله وطائعًا له قبل إرسال النبي – ﷺ – رسالته إليه، حيث كان على النصرانية الحقّة، ولذلك طلب منه النبي الموالاة على طاعة الله ﷻ، أي المداومة على ما كان عليه من صحيح الاعتقاد، أما المصدر المؤول بالصريح فدلالته مزدوجة، حيث يدل على الحدث الذي اشتق منه الفعل، والزمن الذي جاء الفعل على صيغته، وقد جاء التعبير بالمصدر المؤول من " أَنْ " والفعل المضارع هنا ؛ لأن المقصود هو أن تَتَّبِعني، وتؤمن بالذي جاني فيما تستقبل من الزمن، أي بعد وصول رسالتي إليك، وعلمك بما فيها ؛ لأن " أن " الناصبة تخلص الفعل المضارع للاستقبال، ومن المعلوم أن النّجاشيّ قبل هذه الرسالة لم يكن مُتّبعًا للنبي ولا مؤمنًا بالذي جاءه، هذا بالإضافة إلى ما في هذا العدول وتلك المغايرة الأسلوبية من تفنن في التعبير يجذب انتباه القارئ، ويحرك عقله، ويثير تفكيره ؛ ليبحث عن سر هذا العدول،

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٩٩.

أضف إلى ذلك أيضًا ما في هذا العدول وذلك التفنن في الأسلوب من تجديد لنشاط المتلقي، وإبعاد الملل والسآمة عنه ؛ حتى يستطيع أن يكمل الرسالة وهو نَشِط غير سَئِم ولا مَلُول.

وعبر النبي – ﷺ – عن نفسه بضمير المتكلم المفرد في كلٍّ من " تَتَّبِعَني " و " جاءني " تواضعًا منه، ومبالغة في تعيين شخصه العظيم.

واستخدم التعبير بالصلة في جملة " تؤمن بالذي جاءني " بدلًا من أن يقول – مثلًا –: " تؤمن بشريعتي " إشارة إلى أن الذي طلب النبي من النّجاشيّ الإيمان به ليس من عند نفسه، وإنما هو وحي جاءه من عند الله ﷻ.

وعطفت جملة " تؤمن بالذي جاءني " على جملة " تَتَّبِعَني " لوجود المناسبة بين الجملتين، حيث إن المسند إليه فيهما واحد، وهو النّجاشيّ المعبر عنه بضمير المخاطب المستتر، والمسند فيهما بصيغة واحدة، وهي الفعل المضارع، وكلا الأمرين مطلوب من المخاطب.

وعبر النبي – ﷺ – بالفعل " جاء " دون " أتى " ؛ لأن الفعل " جاء " يستعمل فيما فيه شدة، ولا ريب أن النبي كان يجد شدة ومشقة في تلقي الوحي، حيث كان يتصبب عرقًا في اليوم الشاتي، وهذا يوحي بعظم ما جاءه، هذا بالإضافة إلى ما ذكره الأستاذ / محمد نور الدين المنجّد من أن المجيء يصحبه تحقق ويقين، بينما الإتيان يصحبه شك [1]، ولا ريب في أن ما جاء النبي – ﷺ – يقين لا شك فيه.

وبعد أن دعا النبي – ﷺ – النّجاشيّ إلى ما دعاه إليه من توحيد الله وعبادته، والموالاة على طاعته، واتّباع نبيّه، والإيمان بالذي جاءه، أتى بجملة يعلل فيها سبب دعوته إلى ما دعاه إليه فقال معلّلًا: " فإني رسول الله ".

واقترنت هذه الجملة بالفاء الدالة على السببية والتعليل ؛ لأن ما بعدها – وهو كون النبي – ﷺ – رسولًا من الله ﷻ – سبب فيما قبلها، وهو دعوته النّجاشيَّ إلى ما دعاه إليه.

(١) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: ١٤٨.

وأكد النبي – ﷺ – هذه الجملة التعليلية بـ " إن " واسمية الجملة لتقرير معنى كون النبي رسولًا من عند الله – ﷻ – في ذهن النّجاشيّ ؛ وذلك لكي لا يخالجه شك أو إنكار في تلك الحقيقة المقررة.

وإخبار النبي – ﷺ – بأنه " رسول الله " ليس من باب التكبر أو الفخر المذموم، وإنما ذلك من باب بيان المهمة والحقيقة والعلة التي من أجلها دعا النّجاشيّ إلى ما دعاه إليه.

وإضافة " رسول " إلى " الله " إضافة تشريف وتكريم وتعظيم، وهل هناك أفضل وأكرم وأشرف وأعظم من الإضافة إلى الله ﷻ ؟

وعبر النبي – ﷺ – بلفظ الجلالة " الله " مظهرًا رغم سبق ذكره مظهرًا قبل ذلك ؛ لأن هذه الجملة الفعلية التعليلية بمثابة الحقيقة المقررة، والعنوان على شخص النبي ووظيفته التي عُرِفَ بها.

ثم كرر النبي – ﷺ – دعوته للنّجاشيّ إلى الله ﷻ، ولكن ضم معه هنا جنوده فقال: " وإنّي أَدْعوكَ وجُنودَكَ إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ".

والواو في قوله: " وإني أدعوك " تحتمل أن تكون عاطفة، وتكون الجملة التي دخلت عليها معطوفة على جملة " إني أدعوك " السابقة، وتحتمل أن تكون استئنافية، ويكون النبي – ﷺ – استأنف بها دعوة ثانية لمّا ذكر الجنود هنا مع النّجاشيّ، ويكون الغرض من هذا الاستئناف هو الاهتمام بهذه الدعوة المستأنفة، كأنها دعوة مستقلة عن الدعوة السابقة نظرًا لمجيء الجنود هنا مع النّجاشيّ.

وأكد النبي – ﷺ – جملة " إني أدعوك " بـ " إن " واسمية الجملة أيضًا لقوة إحساسه بالمهمة التي كُلِّفَ بإبلاغها،

ولتقرير المعنى وتوكيده وترسيخه في ذهن المتلقي، وليقع من نفسه الموقع المرجوّ أن يقع فيه.

وعطف النبي " جنودك " على ضمير المفعول به، وهو كاف الخطاب في جملة " أدعوك " العائد على النّجاشيّ، ولم يكتف بتوجبه الدعوة إلى النّجاشيّ على اعتبار أن دعوة القائد والراعي دعوة للرعية، وكذلك لم يقل للنّجاشيّ: " فإن تولّيْتَ فإن عليك إثم جنودك " كما قال لهِرَقْل: " فإن تولّيْتَ فإن عليك إثم

الأريسيّين "، ولعل السر في ذلك هو أن شعب هِرَقْل كان يتبعه تَبَعِيّة كاملة، وبالتالي يتحمل إثمهم، بينما كان الأحباش جنود النّجاشيّ لهم إرادة حرة في اختيار ما يريدون، وبالتالي لم يُحَمِّلْ النبي – ﷺ – النّجاشيّ إثمهم [1].

وفي قوله – ﷺ –: " إني أدعوك وجنودك إلى الله " إيجاز بحذف المضاف كما سبق في قوله: " إني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له "[2]، والتقدير: إني أدعوك وجنودك إلى عبادة الله، أو إلى توحيد الله ﷻ، وذلك لفهم المحذوف من السياق ؛ لأن الدعوة لا تكون لذات الله ﷻ، وإنما تكون لعبادة الله وتوحيده وما كَلّفَنا به وطلبه منا، وفي هذا ضرب عظيم من البلاغة، حيث يبعث الفكر، ويحرك النفس، ويجعلها تذهب في تقدير المحذوف كل مذهب ممكن يحتمله السياق، هذا بالإضافة إلى ما في ذلك الحذف من الاختصار للأسلوب وتكثيفه واكتنازه بحيث يصبح أكثر ثراء وإيحاء، أضف إلى ذلك تخليصه مما يثقل كاهله.

وعبر النبي – ﷺ – هنا بلفظ الجلالة " الله " مظهرًا رغم ذكره مظهرًا قبل ذلك لإظهار تأكيد الدعوة التي وجهها إلى النّجاشيّ وجنوده، وكأنها في التأكيد والحث عليها دعوة مستقلة عن الدعوة السابقة التي وُجِّهَتْ إلى النجاشي وحده قبل ذلك.

ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – أتى بجملتي " عزّ وجلّ " ثناء على الله – ﷻ – في دعوته إلى النّجاشيّ وجنوده، ولم يأت بها قبل ذلك في دعوته للنّجاشيّ وحده، ولعل السر في ذلك – والله أعلم – هو ما كان عليه النّجاشيّ من تعظيم لله – تبارك وتعالى – وثناء عليه، حيث كان يدين بالمسيحية الصحيحة، ذلك بخلاف الجنود، فلما انضمّ الجنود معه في الدعوة المُوَجَّهة إليهما جاء هذا الثناء تعليمًا للجنود، وإخبارًا لهم بأن الله – ﷻ – الذي دُعُوا إلى عبادته وتوحيده عزيز، أي قوي قاهر يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ، وجليل عظيم حيث يصغر دونه كل جليل، ويَتَّضِع معه كل رفيع، ويُجَلّ عن الإحاطة به، وإدراك الحواس له.

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٥٠٢.
(٢) البحث صـ ٣٩.

ثم ذكر النبي – ﷺ – أنه بَلَّغَ ما أُمِرَ به أن يبلّغه، وأدى ما طُلِبَ منه أن يؤديه، فقال مستأنفًا " وقَدْ بَلَّغْتُ ونَصَحْتُ، فاقْبَلوا نَصِيحَتي ".

وقد أكد النبي هاتين الحقيقتين – وهما التبليغ والنصح – اللتين أداهما على أكمل وجه وأتمه بحرف التحقيق " قد " ؛ ليتقرر المعنى ويتحقق ويتأكد في ذهن المتلقي، حتى لا يكون له حجة على النبي – ﷺ – يوم القيامة.

وفي جمع النبي – ﷺ – بين التبليغ والنصح إيحاء برحمته بأمته، وحرصه على نجاتهم، حيث لم يكتف بالتبليغ فقط، بل أضاف إلى ذلك النصح لهم ترغيبًا وترهيبًا، وإغراء وتحذيرًا، وعَطْفُ "نَصَحْتُ " على " بَلَّغْتُ " من باب التأسيس لا التأكيد لوجود الفرق بينهما، يقول الدكتور / محمد سيد طنطاوي: " والفرق بين تبليغ الرسالة وبين النصح هو أن تبليغ الرسالة معناه أن يُعَرِّفَهم جميع أوامر الله ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي كلفهم الله بها، وأما النصح فمعناه أن يُرَغِّبَهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات، ويحُذِّرَهم من عذاب الله إن عصوه"(١).

وفي قوله – ﷺ–: " بَلَّغْتُ " استعارة تصريحية تبعية ؛ لأن أصل التبليغ والإبلاغ بمعنى جَعْل الشيء بالغًا وواصلًا إلى المكان المقصود، فشبه الإعلام بالتبليغ، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به، واشتق منه " بَلَّغْتُ " على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وفي هذا تصوير للإعلام بصورة المحسوس، وإخراج له من حيّز المعقول إلى حيّز المشاهد.

وعُطِفَتْ جملة " نَصَحْتُ " على جملة " بَلَّغْتُ " لما بين الجملتين من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى " ووُجِدَتْ المناسبة بينهما، فكل من التبليغ والنصح من مُهِمّات الأنبياء، ولا سيّما خاتمهم ﷺ، ولأن المُبَلِّغ الحقّ هو من يجمع بين التبليغ والنصح ؛ ولذا فقد جاء التبليغ مقترنًا بالنصيحة على لسان بعض الأنبياء في القرآن الكريم، فقال – ﷻ – على لسان نوح – عليه السلام –: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: ٥ / ٢٩٩ / دار نهضة مصر / الفجالة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٩٧م.

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)، وعلى لسان هود – عليه السلام –: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (٢)، وعلى لسان صالح – عليه السلام –: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٣)، وعلى لسان شعيب – عليه السلام –: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ (٤)، وكأن النبي – ﷺ – حين جمع بين التبليغ والنصح –كما قال الدكتور / محمد محمد أبو موسى – " يُذَكِّر النّجاشيّ – وهو من أهل العلم بالناموس الأكبر – بمعجم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم " (٥).

والفاء في قول النبي – ﷺ – " فاقْبَلُوا نَصِيحَتي " استئنافية، حيث استأنف بها أمرًا جديدًا، وهو الأمر للنّجاشيّ وجنوده بقبول النصح، وفيها أيضًا معنى السببية والتعليل ؛ لأن قيام النبي بالنصح سبب في الأمر بقبوله.

ولا يفهم من لفظة " نَصِيحَتي " أن الأمر في " فاقْبَلُوا " للنصح والإرشاد – بمعنى أنه لا إلزام فيه – لأن ما دعا إليه النبي – ﷺ – في هذه الرسالة يجب على المتلقي الأخذ به، والامتثال والطاعة والانقياد له، وإلا فقد عَرَّضَ نفسه للخسران والهلاك والعياذ بالله.

ثم ختم النبي – ﷺ – هذه الرسالة بهذه الحقيقة المقررة بقوله: " والسَّلامُ على من اتَّبَعَ الهُدى "، يقول القلقشندي عن أسلوب النبي في خَتْم كتبه: " وكان يختم كتبه بالسلام تارة، فيقول في خطاب المسلم: " والسلام عليك ورحمة الله وبركاته "، وربما اقتصر على السلام، ويقول في خطاب الكافر: " والسلام على من اتَّبَعَ الهدى " وربما أَسْقَطَ السلام من آخر كُتُبه " (٦).

وهذه الجملة تمثل قاعدة كلية، ومبدأً عامًّا من المبادئ التي دعا إليها الإسلام، ونادى بها، وهي أن السلام بمعنى الأمان والسلامة والنجاة من كل سوء

(١) الأعراف: ٦٢.
(٢) الأعراف: ٦٨.
(٣) الأعراف: ٧٩.
(٤) الأعراف: ٩٣.
(٥) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٥٠٠.
(٦) صبح الأعشى: ٦ / ٣٦٦.

في الدارين لا يتحقق إلا لمن اتَّبَعَ هدى الله – ﷻ – الذي هو الهدى الصحيح الكامل، والذي أرسل به نبيه ﷺ، وليس المراد بالسلام هنا التحية ؛ لأنها ليست ابتداء خطاب، ولأن التحية خاصة بالمؤمنين، والنّجاشيّ لم يكن قد آمن قبل إرسال تلك الرسالة إليه.

والواو هنا استئنافية، ولكن هذا لا يُخْلِيها من معنى العطف، وربط أجزاء الكلام ببعض، ولكنه عطف مضمون الكلام الداخلة عليه على مضمون الكلام السابق عليها، يقول ابن القيم: " إنها لعطف فصول الكتاب بعضه على بعض، فهي عَطْفٌ لجملة السلام على ما قبلها من الجمل " (١).

وجاء النبي – ﷺ – بلفظ "السلام " هنا في نهاية هذه الرسالة معرفًا فقال: " والسَّلامُ على من اتَّبَعَ الهُدى "،وجاء في بداية رسالة هِرَقْل السابقة منكرًا هكذا " سَلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدى "(٢)، ولعل السر في ذلك –كما يرى ابن القيم – هو أن السلام دعاء وطلب، وهم في ألفاظ الدعاء والطلب إنما يأتون بالنكرة، إما مرفوعة على الابتداء، أو منصوبة على المصدر، وأما تعريفه في آخر المكاتبة فلئلا يبقى تكرارًا محضًا للسلام الأول، هذا بالإضافة إلى أنه لما كان " السلام " بلفظ المعرفة اسمًا من أسماء الله ﷻ، وقد افتتح المُرْسِل رسالته بذكر الله ناسب ذلك أن يختمها باسم الله " السلام " ؛ ليكون اسم الله – ﷻ – في أول الرسالة وآخرها (٣).

وذكر النبي – ﷺ – في نهاية رسالته هذه الجملة التي يخاطب بها غير أهل الإسلام، والتي توحي بالتهديد إيحاء ضمنيًّا، أي أن من لم يَتَّبِع الهدى فلن يسلم ؛ لأن جنود النّجاشيّ كانوا كفارًا، ولم يدخلوا في الإسلام، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " وإنما ذكر هذه العبارة التي يخاطب بها غير أهل الإسلام، وشاب الكلامَ الشريفَ هذا الضربُ من الخطاب الذي يخاطب به أهل الكفر ؛ لأن جنود النّجاشيّ ليسوا من أهل الإسلام، وقد ثاروا عليه لما صَدَّقَ بما قاله

(١) بدائع الفوائد: ٢ / ٦٣٦.
(٢) البحث صـ ١٠.
(٣) السابق: ٢ / ٦٣٢، ٦٣٥، ٦٣٦.

رسول الله – ﷺ – في عيسى بن مريم، واعتبروه قد خالف عقيدتهم، ولكن الله نصره عليهم " (١).

وفي هذه الجملة الجامعة أيضًا ترغيب واستمالة لقلب النّجاشيّ وجنوده، وهي عبارة موجزة رفيعة وافية بأداء المعنى المراد، وتقرير الغرض المقصود، وهو تحقيق السلام والأمان والنجاة في الدنيا والآخرة لمن اتَّبَعَ هدى – ﷻ – الذي أرسل به نبيه ﷺ، وقد سبق الحديث عنها في تحليل رسالة النبي إلى هِرَقْل عظيم الرُّوم (٢).

ومن يتأمل هذه الرسالة النبوية إلى النّجاشيّ يجد أن ألفاظها تفيض باللين والرقة والعذوبة والسلاسة ؛ ليتلاءم ذلك مع ما كان عليه النّجاشيّ من رقة ورحمة في قلبه، وإحسان وعدل في معاملته، وصحة في مسيحيته التي كان يدين بها قبل إسلامه، فيجد " سِلْمٌ " في بدء الرسالة، و " السلام " ضمن الأسماء الحسنى التي وردت في الرسالة في أثنائها، و " السلام على من اتَّبَعَ الهدى " في جملة الختام، وقد اتسم خطاب النبي – ﷺ – للنّجاشيّ بروح النصيحة والإرشاد واللطف والرقة، الأمر الذي يدل على أن هذه الرسالة كُتِبَتْ لشخص قريب جدًّا من الإسلام، بل ويُطْمَع في إسلامه بشدة ؛ ولذا فلم يوجد فيها كلمة خشنة، أو لفظة تحمل تهديدًا صريحًا أو ضمنيًّا، اللهم إلا الجملة التي ختم بها النبي – ﷺ – رسالته، فإنها تحمل تهديدًا ضمنيًّا بمفهوم المخالفة، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " وليس في رسالة النّجاشيّ كلمة واحدة فيها تهديد إلا كلمة " والسلام على من اتَّبَعَ الهدى " وهي آخر الرسالة، وجاءت بعد ذكر الجند الذين لم يسلموا " (٣).

كما يجد أيضًا أن الصفات التي ذكرها النبي – ﷺ – لسيدنا عيسى – عليه السلام – توافق ما هو موجود في الإنجيل غير المحرف، وتوافق ما كان النّجاشيّ يعتقده في المسيح من أنه خلق من غير أب كما خُلِقَ آدم من غير أب ولا أم، وأنه ليس

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٥٠٠.
(٢) البحث صـ ١٤ - ١٦.
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٥٠١.

إلهًا ولا جزءًا من الإله، ولا ابنًا للإله، تعالى الله – ﷻ – عن ذلك علوًّا كبيرا، كما يجد كذلك أن الصفات التي ذكرها للسيدة مريم " البَتول الطيّبة الحَصِينة " توافق ما هو موجود في المسيحية الصحيحة، فالنبي " عَرَفَ أن النّجاشيّ كتابيّ يؤمن بالمسيح ومريم العذراء، ولديه ثقافة دينية عن آدم وبدء الخليقة مما يقره الإسلام، فكتب إليه في لباقة حصيفة... وكان النّجاشيّ في صميم ذاته مؤمنًا ورعًا، قرأ الإنجيل الصحيح، وترقب ظهور نبي بَشَّرَ به المسيح، فلما جاء كتاب الرسول شفى منه غليلًا، فَفَكَّرَ وقَدَّرَ، ثم أشرق نور الإسلام في قلبه " [1].

ولعل ما كان عليه النّجاشيّ من المسيحية الصحيحة، وعلمه بالإنجيل الصحيح، وببشرى نبي الله عيسى بالنبي محمد – عليهما الصلاة والسلام – وترقبه لظهوره ؛ ليعلن إيمانه، هو الذي جعل النبي – ﷺ – لم يذكر في كتابه إليه الآية القرآنية التي ذكرها في كتابه إلى هِرَقْل، حيث لم يكن عند النّجاشيّ ما عند هِرَقْل من فساد المعتقد، هذا بالإضافة إلى استشراف نفس النّجاشيّ وتهيؤها لاستقبال الإيمان بدعوة النبي ﷺ.

ويقول الأستاذ / عباس محمود العقاد في تعليقه على هذه الرسالة مبيّنًا بعض ما انفردت به عن غيرها من الرسائل الأخرى: " وفي كتابه إلى النّجاشيّ زيادة من أسماء الله الحسنى، ومن الإشارة إلى المسيح وأمه لم تُؤْثَر في الكتب الأخرى، ولكنها ألزم ما يلزم في خطاب مَلِكٍ مسيحيّ يراد منه أن يفهم كيف تتفق صفات الله والمسيح في دينه وفي دين المسلمين الذي يُدْعى إليه، وكيف يبتغي طريق المقابلة بين العقيدتين إذا شاء. ما على الرسول إلا البلاغ، وهذا هو البلاغ في التعبير، كل كلمة تصل إلى سامعها، وكل كلمة مقصودة بمقدار " [2].

(١) البيان النبوي: ١١٣، ١١٤ / دار الوفاء / المنصورة / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

(٢) عبقرية محمد: ٧٥ / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.

## المبحثُ الرابعُ: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرْسِ:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّهِ إِلَى كِسْرى [1] عَظِيمِ فارِسٍ، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى، وآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهُ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدِعايَةِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنا رَسُولُ اللَّهِ إلى النّاسِ كافَّةً، لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَولُ على الْكافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْمَجُوسِ " [2].

من ينظر في هذه الرسالة يجد أنها تختلف عن طابع الرسائل السابقة بعض الشيء في صياغتها وأسلوبها ؛ وذلك لأن كلًّا من هِرَقْل والمُقَوْقِس والنّجاشيّ كانوا من أهل الكتاب، بينما كان كسرى مجوسيًّا، والمجوس وثنيّون لا كتاب لهم، ولا يعترفون بالألوهية لله، ولا بالنبوة للنبي محمد ﷺ ؛ ولذا فهي تدور حول محور واحد، وهو الدعوة إلى التوحيد، والدخول في الإسلام الذي هو الدين الخاتم، كما يجد أنها تجمع – كما في الرسائل السابقة – بين الترغيب والترهيب، والإغراء والتحذير، والتبشير والإنذار، إلا أن جانب الترهيب والتحذير والإنذار جاء هنا بصورة أوضح وأكثر ؛ لأن الرسائل السابقة كانت لملوك من أهل الكتاب، وهم مشتركون مع المسلمين في بعض القواسم، وعندهم علم ببعض أمور الإسلام وبعثة نبيه، وأنه خاتم الأنبياء.

---

(١) لفظ كِسْرى - بكسر الكاف وهو الأكثر والأشهر، وقد تفتح وهو قليل - لقب مَلِك حكم الفرس، وهو مُعَرَّب، وهو بالفارسية خُسْرَوْ: أي واسع الملك، وهو هنا اسم ولقب في الوقت نفسه ؛ لأن المَلِك الذي كتب إليه النبي - ﷺ - هو كسرى بن هُرُمُز. تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٤، لسان العرب / مادة: كسر،السيرة النبوية: ٢٩٣ / أبو الحسن الندوي، الرسول المبلغ: ١٥٣.

(٢) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٦٦، وينظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٤، الوفا بأحوال المصطفى: ٢ / ٤٦٠، الكامل في التاريخ ٢ / ٩٧، عيون الأثر: ٢ / ٣٤٧، ٣٤٨، زاد المعاد: ٣ / ٦٠١، نصب الراية: ٤ / ٤٢١، البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٥، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ١٥٣، ١٥٤، صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٨، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤٢، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٦، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤٠، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٤٠، الرحيق المختوم: ٣٢٤.

وقد كان كسرى – بالإضافة إلى وثنيته – إمبراطورًا طاغية مستبدًّا، ومَلِكًا متكبّرًا متجبّرًا متغطرسًا، وحاكمًا باطشًا ظالمًا، وسفيهًا حاقدًا كارهًا للعرب والمسلمين، " وقد كان رسول الله – ﷺ – يعلم تكبره وصلفه، ويعلم أن أقوى البراهين إقناعًا لا يقابل منه بغير الغضب والاستعلاء، ولكنه مُلْزَم بتبليغه ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (١)، فلا بد أن تصل إليه رسالته، فليجاهر إليه بدعوته، وليسمعه شيئًا من القرآن، ولْيُحَمِّلْه وِزْرَ المجوس إن أبى، كل ذلك في أسطر قليلة " (٢).

وذكر النبي – ﷺ – نفسه باسمه وصفته " محمد رسول الله "،كما ذكر كسرى أيضًا باسمه وصفته " كسرى عظيم فارس "، كما ذكر مع كلٍّ من هِرَقْل والمُقَوْقِس ؛ لأن كل واحد منهم كان له حُكْم، وكان معظّمًا من قومه.

ولم يُخْلِه النبي – ﷺ – من اللقب " عظيم فارس " – رغم وثنيته – بناء على تعظيم قومه له، وتطبيبًا واستمالة لقلبه، ومجاراة للعرف الدبلوماسي في مكاتبات الملوك، وتعليمًا لنا في مخاطبة غير المسلم بالدعوة إلى الله ﷻ.

وبدأه النبي – ﷺ – بالجملة التي يخاطب بها غير المسلم " سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى " كما فعل مع غيره من الملوك والأمراء إغراء له باتِّباع الهدى ؛ ليكون من بين زمرة أهل الإسلام، وأصحاب البراءة والخلاص، وذوي السلامة من الشرور والآفات، حيث لا سلام ولا نجاة لمن ضل وغوى، وحاد عن الهدى، فهي جملة تحمل في ظاهرها الإغراء والتبشير، وفي طيّاتها الإنذار والتحذير " ولا يصدر مثل هذا إلا عن فضل اعتداد وإحساس مستحكم بالنصر والغَلَبة، وخصوصًا حين يُوَجّه مثل هذا الخطاب إلى من هو في منزلة كسرى عظيم فارس، الذي كان يحكم نصف الأرض، وغلب الروم على نصفها الآخر " (٣).

وعطف النبي – ﷺ – على جملة " اتَّبَعَ الهُدى " هنا قوله: " وآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهُ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ "،

(١) الشورى: ٤٨.
(٢) البيان النبوي: ١١٤.
(٣) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٧٨.

ولم يكتف بجملة " اتَّبَعَ الهُدى " كما فعل مع غيره ؛ لأن الخطاب هنا مع وَثَنيّ ينكر إثبات الألوهية والوحدانية لله – ﷻ – والنبوة للنبي محمد ﷺ ؛ ولذا فقد احتاج الكلام هنا إلى بسط وزيادة بيان وإيضاح، وهكذا تتجلى فوارق أسلوب النبي في خطابه، وذلك أس البلاغة، وأساس البراعة، وهل البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟

وعطف قوله " وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله " على جملة " وآمن بالله ورسوله " توكيدًا وتقريرًا لمعنى تلك الجملة ؛ لأن الشهادة ليست فقط نطقًا باللسان، وإنما هي نطق باللسان وإقرار واعتقاد بالجَنان، كما أن الإيمان ليس فقط اعتقادًا بالقلب، وإنما هو اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وجاء النبي – ﷺ – بالقصر في جملة " لا إله إلا الله " بطريق النفي والاستثناء الذي يستخدم في الأمر ينكره المخاطب ويجحده ويدفعه أو يشك فيه ؛ لأن كسرى كان جاحدًا ومنكرًا لألوهية الله _ ﷻ _ ووحدانيته، بل قد ادعى أنه مَلِك الملوك والعياذ بالله، وذلك من باب القصر الحقيقي التحقيقي ؛ لأن النفي هنا عام يتناول كل ما عدا المقصور إليه، وهو لفظ الجلالة " الله "، والواقع يؤيد ذلك ويؤكده، وينطق ويشهد به.

وأَتْبَعَ جملة القصر هنا بحالين تأكيدًا لما أفادته وقَرَّرَتْه تلك الجملة فقوله: " وحده " بمعنى أنه لا إله سواه، وقوله: " لا شريك له " يعني أنه واحد أحد، وذلك هو ما أفادته جملة القصر، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " ويُلِحُّ التعبير على إثبات هذا المعنى في النفس، فقوله: " لا إله إلا الله " ظاهر في الوحدانية ونفي الشركة، ولكنه مع ذلك أردف قوله: " وحده "، فنصَّ على الوحدانية وأَفْرَدَها، ثم قال: " لا شريك له " فنصَّ على نفي الشركة المفهوم من القصر ومن كلمة " وحده "، وهذا كله تأكيد في تخليص النفس الإنسانية من ضعفها حين يعتريها الإحساس بأشكال الهيمنة والسيطرة التي يصنعها طواغيت الأرض، وكل هذا في مخاطبة كسرى عظيم الفرس الذي كان يسجد له قومه، وكأنه – ﷺ – يبين له من خلال الشهادة التي هي قاعدة الإسلام كرامةَ الإنسان

في هذا الدين العظيم، وأنه – عليه السلام – بُعِثَ ؛ ليُخَلِّصَ هذا الإنسان للذي خلقه، وبعثه ؛ ولينزعه من سطوة الجبابرة والطواغيت الذين استعيدوه " (١).

وفَصَّلَ النبي – ﷺ – القول هنا مع كسرى، وأوضح البيان ؛ لأنه مجوسي، والمجوس لا يقرؤون الكتب، ولا يعرفون مدلولات الألفاظ بسرعة، وذلك بخلاف غيره من الملوك الذين هم أهل الكتاب كهِرَقْل والمُقَوْقِس والنّجاشيّ، فإنهم قد قرؤوا الكتب، واطلعوا على بشارة النبي ﷺ (٢).

وعطفت جملة " أن محمدًا عبده ورسوله " على جملة " شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " ؛ لأن إيمان المرء لا يكتمل إلا بالشهادتين معًا، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد بأن محمدًا رسول الله لم تقبل شهادته، ولم يصح إيمانه.

وعبّر النبي – ﷺ – عن نفسه بالاسم الظاهر في قوله: " وأن محمدًا عبده ورسوله " مع سبق ذكره مظهرًا قبل ذلك، ولم يقل: " وأني عبده ورسوله " زيادة في الإيضاح، ومبالغة في تمكين المعنى في نفس السامع، وترسيخه في فؤاده، هذا فضلًا عن أن الأنسب والأبلغ في الحديث عن الشهادتين لمن يخاطَب بالإسلام أول مرة هو الإظهار لا الإضمار.

ووصف النبي – ﷺ – نفسه هنا بالعبودية في قوله: " عبده " لإعلام كسرى أن البشر جميعًا عبيد لله، وليس لأحد غيره، حيث كان قوم كسرى يسجدون له، وكان هو وقومه يعبدون النار، ويكفرون بالله – ﷻ – الواحد الأحد الفرد الصمد، ولو كان فيهم مُسْكة من عقل ماعبدوها، إذ كيف يُعَظِّمون ما يُعَذَّبون به يوم القيامة ؟ نسأل الله –ﷻ– النجاة والسلامة.

وفي الوصف بالعبودية هنا أيضًا بعد اقتران الشهادة بنبوة النبي – ﷺ – بالشهادة بالوحدانية لله – ﷻ – تثبيت لعبودية النبي حتى لا يوهم هذا الاقتران

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٨٣، ٤٨٤.
(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ٥ / ١٥.

بشيء مما وقع فيه أهل النصرانية واليهودية الذين قالوا: المسيح بن الله، وعزير بن الله [1].

وفي الإضافة في كلٍّ من " رسول الله "، و " رسوله "، و " عبده " تعظيم وتشريف وتكريم للنبي ﷺ، وهل هناك أعظم وأشرف وأكرم من الإضافة إلى الله ﷻ ؟

ثم استأنف النبي – ﷺ – بعد هذا التمهيد وتلك التوطئة حديثه ببيان غرضه الأصلي ومقصوده الأساسي من هذه الرسالة فقال: " أَدْعُوكَ بِدِعايَةِ اللَّهِ "، وجاء عند ابن كثير بلفظ " وأَدْعُوكَ " [2] بواو الاستئناف التي تفيد أن ما بعدها كلام مستأنف وجديد، ولكنه في الوقت ذاته ليس مبتور العلاقة، ولا مقطوع الصلة عما قبله ؛ لأنها تعطف ما بعدها على ما قبلها عطف مضمون على مضمون، وموضوع على موضوع، وقصة على قصة، لا عطف مفردات.

وجاء التعبير بالفعل مضارع " أدعوك " ؛ ليدل على أن دعوة النبي – ﷺ – لكسرى هي دعوة حادثة ومتجددة باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وفي إضافة " دِعاية " إلى " الله " دلالة على التعظيم والتشريف والتكريم لهذه الدعوة، كما فيها أيضًا إشارة إلى أن النبي – ﷺ – ليس له من الأمر شيء، فما هو إلا نبي مُرْسَل من ربه – ﷻ – بدعوة أُمِرَ بتبليغها للناس، وما على الرسول إلا البلاغ.

ثم علَّلَ النبي – ﷺ – قيامه بدعوة كسرى إلى ما دعاه إليه فقال: " فَإِنِّي أَنا رَسُولُ اللَّهِ إلى النّاسِ كافَّةً "، وجاءت الفاء في هذه الجملة التعليلية نصًّا في السببية والتعليل للجملة السابقة ؛ لأنه " لو قال: " إني رسول الله "، لكان الكلام فصلًا لشبه كمال الاتصال، وهذا معناه أن يقوم في نفس المخاطَب سؤال يقول: ولماذا تدعو بدعاء الله ؟ وما وجه قيامك به ؟ ومثل هذا في هذا السياق

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٨٤.
(٢) البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٥.

لا يحسن، وإنما الذي يحسن هو أن يذكر العلة من غير أن يدعو المخاطَب إلى التساؤل عنها، ويصير الكلام كلامًا واحدًا " (١).

وأكد جملة " إني أنا رسول الله " بـ " إن " واسمية الجملة والضمير المنفصل " أنا " ؛ لأن الخطاب هنا لمنكر جاحد بالرسول – ﷺ – وبالله – ﷻ – الذي أرسل رسله.

وفي التعبير بهذا الضمير " أنا " زيادةً على التأكيد تحديدٌ دقيق، وبيان واضح لشخص الرسول – ﷺ – حتى لا يقع لَبْس من البعض، فيظن أن الرسول هو المُرْسَل من الله – ﷻ – أو من يقوم مقامه، وينوب منابه.

وفي التعبير بلفظة " الناس " المعرفة بلام الجنس، والحال " كافّة " التي هي بمثابة التأكيد دلالة على عموم رسالة النبي – ﷺ – وشمولها لكل أفراد البشر منذ بعثته إلى أن يرث الله – ﷻ – الأرض ومن عليها، وذلك حتى لا يقع في خلد كسرى أن النبي مُرْسَل للعرب وحدهم، حيث كان كل نبي قبله يبعث إلى قومه خاصة، ويؤيد هذا المعنى ويؤكده أيضًا ما جاء عند القسطلاني بلفظ " فإني رسول الله إلى الناس كلهم " (٢)،حيث أكد " الناس " بلفظة " كل " رفعًا لتوهم عدم إرادة العموم والشمول.

وفي قوله: " فإني أنا رسول الله إلى الناس كافّة ؛ لينذر من كان حيًّا " التفات، حيث انتقل من أسلوب التكلم في " إني أنا " إلى أسلوب الغيبة في " لينذر "، ويؤيد ذلك الالتفات أنه جاء عند كلٍّ من ابن الأثير والقلقشندي بلفظ " لأنذر"(٣) على الأصل، وفي هذا الالتفات تطرية لنشاط السامع، ولفت لانتباهه إلى ذلك الأمر المهم ؛ وذلك لأن " مجيء الكلم على أسلوب واحد قد يساعد في خمول السامع، أما تجديد الأسلوب وتنويعه فمما يبعث على النشاط، إذ يفاجأ المستمع بما يظنه اتجاهًا جديدًا في أداء المعنى، فإذا دقق النظر، وأمعن

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٤٨٥.
(٢) المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ١ / ٥٤٢.
(٣) الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٧، صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٨.

الفكر، علم أن الكلام يدور حول محور واحد " [1]، ويقول الزمخشري: " لأنّ الكلام إذا نُقِلَ من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد " [2]، هذا بالإضافة إلى ما في الالتفات أيضًا من التفنن في التعبير بأساليب اللغة، والإبداع في إظهار المعنى مكتسيًا أكثر من ثوب مما يضفي عليه رونقًا وجمالًا.

وجملتا " لِيُنْذِرَ مَنْ كان حيًّا، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين " تعليل لجملة " إني أنا رسول الله إلى الناس كافّة "، وهما مقتبستان من قوله تعالى: ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [3]، وفي هذا الاقتباس ضرب من الجمال، ولون من الحسن، حيث كسا الأسلوب النبوي زينة وبهاء وحسنًا.

وعبر النبي – ﷺ – بـ " مَنْ " الموصولية للدلالة على العموم والشمول، أي لأنذر كل من كان أهلًا للإنذار دون استثناء لأحد.

وجاء التعبير بالفعل الماضي " كان "، أي باعتبار ما كان في علم الله – ﷻ – لتحققه، وقيل: كان هنا بمعنى يكون [4].

وفي لفظ " حيًّا " استعارة تصريحية، حيث شبه الإنسان العاقل، صائب الإدراك، صحيح النظر والتأمل، حيّ القلب، مستنير البصيرة بالحيّ، بجامع الوعي والفهم والاستيعاب فيهما، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وفي هذه الاستعارة تعريض بمن يُعْرِض عن قبول دعوة الله – ﷻ – بأنه كالأموات، حيث لا ينتفعون بعقولهم، كما في قوله – ﷻ –: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا

(١) الجنى الداني في علم المعاني: ١٦٢ / د / إبراهيم طه الجعلي، د / نجلاء عبد اللطيف كامل كردي / مكتبة المتنبي / الدمام / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
(٢) الكشاف: ١ / ١٤.
(٣) يس: ٧٠.
(٤) روح المعاني: ١٢ / ٤٨.

مُدْبِرِينَ﴾ [1]، وقوله – ﷻ – أيضًا: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[2].

وخص الإنذار بالحيّ ؛ لأنه هو المنتفع به [3]، والممتثل له، حيث له عقل يعي به ويعقل ويفهم، وقلب يحس به ويشعر ويتدبر.

وعطفت جملة " يَحِقَّ القولُ على الكافرين " على جملة " يُنْذِرَ مَنْ كان حيًّا " لما بين الجملتين من التوسط بين الكمالين باتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، هذا بالإضافة إلى أن الله – ﷻ – أرسل رسوله – ﷺ – ليكون منذرًا لأصحاب العقول الصائبة والمدارك الراجحة، وحجة على الكافرين بإحقاق العذاب عليهم تصديقًا لقوله – ﷻ –: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [4]، فإذا جاء الرسول وأنذر حَقَّ التعذيبُ على من وُجِدَ منه التكذيب.

وفي التعبير بكلمة " يَحِقُّ " هنا إشارة إلى أن حقوق العذاب على الكافرين أمر محتوم لا مفرّ منه، ولا محيص عنه، فهو عليهم حقٌّ واجب، وضربة لازب، وجاء ذلك بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن الوعيد بوجوب العذاب على الكافرين أمر متجدد باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وجعل النبي – ﷺ – " الكافرين " في مقابلة " مَنْ كان حيًّا " إشعارًا بأنهم لكفرهم، وسقوط حجتهم، وعدم تأملهم، وعمى بصائرهم، في حكم الأموات[5].

---

(١) النمل: ٨٠.
(٢) فاطر: ٢٢.
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ٢٧٣ / البيضاوي / تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ١٥، روح المعاني: ١٢ / ٤٨.
(٤) الإسراء: ١٥.
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤ / ٢٧٣، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ١٥، روح المعاني: ١٢ / ٤٨.

والمقصود بـ " القول " هنا الكلام الذي جاء بالوعيد لمن لم ينتفع بإنذار الرسول ﷺ [1]، كما في قوله – ﷻ–: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [2]، حيث تجب حجة العذاب على الكافرين المُصِرِّين على كفرهم.

وتعريف " الكافرين " باللام هنا للدلالة على العهد، أي الكافرين المُصِرِّين على كفرهم، والممتنعين من الإيمان بالله ورسوله ؛ لأن من تاب وأَسْلَمَ فإسلامه يجب ما قبله، وتبدل سيئاته حسنات.

وقال النبي – ﷺ –: " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " كما قال لهِرَقْل والمُقَوْقِس وغيرهما ؛ لأن هذا حكم عام يُوَجَّه لكل من هو على غير الإسلام كتابيًّا كان أو غير كتابيّ، ولم يقل له: " يؤتك الله أجرك مرتين " كما قال لكلٍّ من هِرَقْل والمُقَوْقِس ؛ لأنه مجوسيّ لا كتاب له ولا دين [3]، وإنما كان هو وقومه يعبدون النار.

وجاءت هذه العبارة عند ابن كثير بلفظ " فإنْ تُسْلِمْ تَسْلَمْ " [4]، بأداة الشرط" إنْ " الدالة على أن مدخولها مشكوك فيه، وغير محقق الوقوع، وكأن الله – ﷻ – كشف لنبيه – ﷺ – عن قلب كسرى، فعلم أنه لن يُسْلِم، وبالتالي فلن يَسْلَم، فعبر النبي عن إسلامه بـ " إنْ " الشرطية ؛ لأن إسلامه أمر مشكوك في تحققه، وغير مقطوع به، وهذا ما كان، حيث رفض الدخول في الإسلام، ومات على كفره، نسأل الله – ﷻ –السلامة في الدارين وحسن الخاتمة.

ثم حَمَّلَه النبي – ﷺ – تَبِعة إثمه وإثم رعيته كما فعل مع هِرَقْل والمُقَوْقِس [5]، فقال: " فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْمَجُوسِ "، أي فإن عليك مع إثمك إثم أتباعك ورعاياك.

(١) التحرير والتنوير: ٢٣ / ٦٦.
(٢) هود: ١٩٩.
(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ١٥.
(٤) البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٥.
(٥) البحث صـ ١٠، ٢٨.

وعبر النبي – ﷺ – هنا بأداة الشرط " إنْ " دون " إذا " إظهارًا لحرصه على هداية كسرى، حيث أظهر إباءه في صورة المشكوك فيه لا المقطوع بوقوعه، وهكذا تتجلى رحمة النبي في دعوته حتى مع المجوس الذين لا كتاب لهم.

وعبر أيضًا بالفعل " أبى " دون " رفض " ؛ لأن الإباء يدل على الرفض الشديد القاطع الذي لا تجدي معه أيّة محاولة في تغييره، وكأن الله – ﷻ – أطلع نبيه على ما في قلب كسرى، وأعلمه أنه سيرفض الدعوة بالدخول في الإسلام، وأنه لن تنفع معه أيّة محاولة لتثنيه عن رأيه، ولكنه البلاغ الذي أُمِرَ النبي – ﷺ – بتبليغه للناس، والحجة التي أُمِرَ بإقامتها عليهم.

وجاء عند القسطلاني بلفظ " تَوَلَّيْتَ " [1] بدلًا من " أَبَيْتَ "، وذلك على سبيل المجاز، حيث شبه الرفض والإباء بالتولي الذي هو الإعراض والإشاحة بالوجه، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وفي ذلك لون من تصوير المعنى وتجسيده، وإبراز له من حيّز المعقول إلى حيّز المحسوس المشاهد، وتثبيت له في نفس المتلقي، وتمكين وترسيخ له في فؤاده.

وأكد النبي – ﷺ – جملة جواب الشرط " فإنّ عليك إثم المجوس " بـ " إنّ" واسمية الجملة، والقصر بتقديم خبر إنّ " عليك " على اسمها " إثم المجوس "، حيث قصر إثم المجوس على كسرى، ونفاه عمّن عداه من أتباعه ورعاياه ؛ لأنه هو المسئول عنهم، حيث أمرهم بأمره، وقرارهم من قراره، ونظرًا لخطورة هذه المسئولية، وعِظَم تلك التبعة ومن هنا أكد النبي كلامه حتى يؤخذ الأمر بمأخذ الجد والاهتمام، وعدم التفريط والتقصير، ولكن ماذا يغني الأمر مع من ختم الله – ﷻ – على قلبه وسمعه، وجعل على وبصره غشاوة ؟

والناظر المتأمل في هذه الرسالة يجد أن أسلوبها غاية في الوضوح والبيان، ونهاية في السلاسة والسهولة، فلا غموض فيها ولا إبهام نظرا لأن المُرْسَل إليه لم يكن أهل علم وبلاغة، ولا صاحب فصاحة وبيان، يقول أبو هلال العسكري في

(١) المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ١ / ٥٤٢.

تعليقه على سهولة أسلوبها وعلة ذلك، والفرق بين أسلوبه – ﷺ – فيها وأسلوبه في رسائله ومكاتباته إلى العرب أهل الفصاحة واللسَن والبيان: " فسَهَّل – ﷺ – الألفاظ كما ترى غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة في العربية، ولمّا أراد أن يكتب إلى قوم من العرب فخّم اللفظ ؛ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه، وعادتهم لسماع مثله " (١).

كما يجد أيضًا أنها ذات نبرة عالية وصريحة في التهديد والتحذير، يقول الدكتور / محمد محمد أبو موسى: " ليس هناك كلمة في هذه الرسالة إلا وراءها تهديد بالغ " (٢).

ويجد كذلك أنها صريحة وواضحة في الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالله ورسوله، والشهادة لله بالوحدانية، وللنبي بالرسالة، كل ذلك بأسلوب فيه شيء من التفصيل والتصريح الذي يعمل في النفوس ما لا يعمله التضمين ؛ لأن كسرى كان مجوسيًّا، وذلك بخلاف غيره من الملوك والأمراء الذين هم أهل كتاب، فقد قرؤوا الكتب، وعلموا ببشارات النبي وإرهاصات قدومه، لكن رغم ما في الرسالة من وضوح وسهولة وصراحة وتفصيل وإقناع فقد أبى كسرى إلا أن يرفض الدعوة، ويظل على مجوسيته، وليته وقف عند هذا الحد، بل وَرِمَ أنفه،ومَزَّقَ الرسالة، وقال قولته الفاحشة الفاجرة بعد أن قرئت عليه، ووجد اسم النبي – ﷺ – فيها قبل اسمه: " يكتب إليّ بهذا وهو عبدي ؟ ! " (٣) – حيث كان يزدري العرب ويعتبرهم عبيدًا له – بل وأرسل إلى نائبه في اليمن ؛ ليبعث إلى النبي رجلين جَلْدين ؛ ليأتيا به، ويأسراه إليه، فدعا النبيُّ عليه بأن يُمَزَّق ملكه، فاستجاب الله دعوته، وباد كسرى وملكه، وذهبت بلا عودة إمبراطوريّته التي حكمت نصف الأرض أكثر من أربعة – أو خمسة – آلاف سنة، يقول الشيخ / عبد المتعال الصعيدي: " وكانت هذه أول ثُلْمة من المسلمين في ملك كسرى تحقيقًا لنبوءة النبي ﷺ " (٤).

---

(١) كتاب الصناعتين: ١٥٥ / تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
(٢) شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٥٠١.
(٣) البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٥.
(٤) السياسة الإسلامية في عهد النبوة: ١٦٠.

## الفصلُ الثاني: رسائلُ النبيِّ – ﷺ – إلى الأُمَراءِ:

### المبحثُ الأولُ: رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ الغَسّانيِّ أَميرِ دِمَشْقَ:

**" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إلى الحارِثِ ابْنِ أبي شِمْرٍ (١) (٢)، سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى، وآمَنَ بِهِ وصَدَّقَ، وَإنّي أَدْعُوكَ إلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، يَبْقى لَكَ مُلْكُكَ" (٣).**

**من ينظر في هذه الرسالة يجد أن النبي – ﷺ – ذكر الحارث بن أبي شِمْر باسمه فقط، ولم يذكر له صفة باعتباره أمير دمشق، أو مَلِك الغساسنة، ولعل السر في ذلك هو أن تنصيب الحارث هذا حاكمًا على الغساسنة كان من قِبَل هِرَقْل ملك الروم، وكان الحارث تابعًا له في كل قراراته، ولا سيما القرارات المصيرية، هذا بالإضافة إلى الغرور الذي ملأ رأسه، والتكبر الذي سيطر على عقله وفكره.**

**ثم خاطبه بهذه التحية " سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى " التي يخاطب بها غير المؤمنين، وتُصَدَّر بها الرسائل المُوَجَّهة إليهم إفادة بأن من اتّبَعَ الهدى فهو من**

---

(١) شِمْر: بكسر الشين سكون الميم. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٤٦.

(٢) الحارث الأعرج بن أبي شِمْر الغَسّانيّ مَلِك الغساسنة، كانت إقامته بغُوطة دمشق، وكان نصرانيًّا تابعًا في حكمه لقيصر، ومات في عام الفتح. جمهرة أنساب العرب: ٣٧٤ / ابن حزم / تحقيق: لجنة من العلماء / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، الأعلام: ٢ / ١٥٥ / الزركلي / دار العلم للملايين / الطبعة الخامسة عشرة / ٢٠٠٢م، سفراء النبي ﷺ: ١ / ١٢٧، ١٣٧ / اللواء الركن / محمود شيت خَطّاب / مؤسسة الريان / بيروت / لبنان، دار الأندلس الخضراء / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

(٣) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٠٦، ١٠٧، وينظر: تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٢، عيون الأثر: ٢ / ٣٥٦، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٨، ٦٠٩، نصب الراية: ٤ / ٤٢٤، البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٣، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ٢٦١، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٥٠، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٥٧، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤٤، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٢٦، الرحيق المختوم: ٣٢٨.

أهل السلامة والنجاة، وإيحاء بمفهوم المخالفة أن من لم يَتَّبِع هدى الله – ﷻ – ويدخل في الإسلام فليس من أهل السلامة والنجاة، وبهذا فقد جمعت هذه الجملة الموجزة البليغة بين الترغيب صراحة والترهيب ضمنًا ومفهومًا.

ثم زاد النبي – ﷺ – على هذه الجملة في مخاطبة الحارث قوله: " وآمَنَ بِهِ وصَدَّقَ "– كما زاد قبل ذلك في خطابه لكسرى – [1] ولعل ذلك لأن الحارث كان غِرًّا مسلوب الإرادة، وكان تابعًا لهِرَقْل في كل قراراته، يقول اللواء الركن / محمود شيت خَطّاب: " وهكذا كان الحارث مَلَكِيًّا أكثر من المَلِك، وقيصريًّا أكثر من القيصر، وبرزت عمالته للروم بشكل واضح جَلِيّ، فهو كالقيصر حيث مال يميل، وكل ما يرضي القيصر فهو عند الحارث جميل، وإذا كان متكبرًا على أبناء جِلْدَته فهو عبد للروم والقيصر " [2]، وقال عنه أيضًا: " وكان يفكر بعقل القيصر لا بعقله، ويعمل ما يحب القيصر أن يعمله، لا ما يجب عليه أن يعمله"[3].

ولما علم النبي – ﷺ – حال الحارث المضطربة وغير المستقلة أتى بهذه الزيادة ؛ حتى لا يفهم الحارث أن المطلوب منه هو مجرد إيمان شكليّ يخدع به غيره، وإنما المطلوب هو الإيمان الصادق الخالص حتى يكون هواه تابعًا لما جاء به النبي – ﷺ – لا ما يأمره به سيده هِرَقْل.

وعطف " آمن به وصدّق " على جملة " اتَّبَعَ الهدى " عطف تفسير وبيان وإيضاح [4] ؛ لأن الإيمان والتصديق هما عين اتباع الهدى، والاتباع يكون في العمل والاعتقاد معًا.

وعطف " صدّق " على آمن " من باب عطف العام على الخاص ؛ لأن الإيمان أخص من التصديق، فالإيمان تصديق يستعمل على نحو مخصوص، حيث لا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب، ويختص بالغيب دون الشهادة، ولا يكون مجرد تصديق، بل لابد أن يكون تصديقًا مع موافقة وموالاة وانقياد، فهو تصديق

(١) البحث صـ ٤٧.
(٢) سفراء النبي ﷺ: ١ / ١٣٧.
(٣) السابق: ٢ / ١٩٨.
(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٤٦.

مخصوص، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والحج قصد مخصوص، والصيام إمساك مخصوص، بينما التصديق يقال في الخبر عن مشاهدة أو غيب، فالكلمتان تشتركان في معنى عام هو التصديق بالقلب، ويختص الإيمان بالغيب دون الشهادة، وأنه يتضمن مع التصديق الموافقة والموالاة والانقياد [١].

فالنبي – ﷺ – بعد أنذكر الحقيقة المقررة والقاعدة العامة، وذلك في جملة " سلام على من اتبع الهدى "، عطف على اتباع الهدى الإيمان به عطف تفسير وبيان ؛ لأن الإيمان الذي هو عقيدة وعمل هو عين الاتباع، ثم عطف على الإيمان بالهدى التصديق به عطف خاص على عام، وكأن التصديق ذكر هنا ثلاث مرات، مرتين ضمنًا في اتباع الهدى والإيمان به، ومرة صريحًا، كل ذلك للتأكيد على قضية مهمة، وهي أن النبي – ﷺ – أراد من الحارث العقيدة الصادقة الخالصة المستقلة التي لا يسيطر عليها سلطة هِرَقْل ، ولا الجانب الشكلي الذي قد يحاول أن يخدع به الرسول ﷺ، وهكذا يكون الأمر، فإما إيمان صادق خالص وإما كفر، ولا ثالث لهما.

وعطفت جملة " آمن " على جملة " اتبع الهدى "، وكذلك عطفت جملة " صدّق " على " آمن " لما بين كل جملة وسابقتها من التوسط بين الكمالين، فالجمل الثلاث متفقة في الخبرية لفظًا ومعنى، وكلها بصيغة الفعل الماضي، والفاعل فيها كلها واحد، وهو الضمير المستتر العائد على " مَنْ "، هذا بالإضافة إلى وجود المناسبة بين كلٍّ من اتباع الهدى، والإيمان به، والتصديق.

وجاءت جملة " آمن به " عند كلٍّ من ابن القيم [٢]،والقسطلاني [٣]، وأحمد زكي صفوت [٤]، ومحمد حميد الله [٥] بلفظ " آمن بالله "، والإيمان بالله هنا

(١) مجموع الفتاوى: ٧ / ٢٩٠ - ٢٩٣ / ابن تيمية / تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
(٢) زاد المعاد: ٣ / ٦٠٩.
(٣) المواهب اللدنية: ١ / ٥٥٠.
(٤) جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤٤.
(٥) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٢٦.

داخل في اتباع الهدى ؛ لأن الهدى يدعو إلى الإيمان بالله، ولكن نصّ عليه هنا صراحة توضيحًا للمطلوب، وتأكيدًا عليه، ولأنه هو الأصل.

وحُذِفَ متعلق الفعل " صدّق " للدلالة على العموم والشمول، أي صدّق كل ما دُعِيَ إلى تصديقه، وطُلِبَ منه اتباعه.

وبعد أن ذكر النبي – ﷺ – للحارث هذه الحقيقة المقررة والمؤكدة، والتي ساقها كالتمهيد لما بعدها، استأنف الحديث وأقبل على غرضه الأصلي قائلًا: "وَإنّي أَدْعُوكَ إلى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، يَبْقى لَكَ مُلْكُكَ ".

والاستئناف بالواو هنا لا يعني انفصال ما بعدها عما قبلها، وعدم اتصاله وترابطه به ؛ لأن الواو لا تكاد تنفك عن العطف المفضي إلى الترابط والتماسك، ولكن العطف هنا ليس عطف مفرد على مفرد، وإنما هو عطف معنى على معنى، ومضمون على مضمون، وقصة على قصة ؛ لأن الإيمان بالله – ﷻ – وحده لا شريك له هو اتباع للهدى وتصديق به، يقول المرادي عن الواو الاستئنافية: " والظاهر أنها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط، وإن سُمِّيَتْ واو الاستئناف ؛ لئلا يُتَوَهَّم أن ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها " (١).

وأكد النبي – ﷺ – كلامه بـ " إن " واسمية الجملة وتكرار إسناد الفعل، حيث أسند مرة إلى اسم " إن " ومرة أخرى إلى الضمير المستتر وهو الفاعل لمواجهة ما قد يعتري الحارث ويعرض له من شك أو تردد أو إنكار في هذه الدعوة المحمدية، هذا بالإضافة إلى قوة إحساس النبي واقتناعه بما يدعوه إليه.

وجاء التعبير بالفعل المضارع " أدعوك " للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أدعوك دعوة متجددة باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

وعبر النبي – ﷺ – بالمصدر المؤول من " أنْ " والفعل المضارع " تؤمن " لدلالة المصدر المؤول على الحدث – وهو الإيمان –والزمن، وهو الاستقبال ؛

(١) الجنى الداني: ١٦٣ / تحقيق: د / فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

لأن " أنْ " الناصبة تُخَلِّص الفعل المضارع للاستقبال، أي على الحارث أن يؤمن ويدخل في الإسلام بعد وصول هذه الرسالة إليه، وعلمه بما فيها.

وفي قوله – ﷺ – " تؤمن بالله " إيجاز بحذف المضاف، والتقدير: تؤمن بوجود الله – ﷻ – وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وجاء التعبير بلفظ الجلالة " الله " ؛ لأنه هو الاسم الأعظم العَلَم على الذات العليّة، والجامع لكل صفات الجلال والجمال والكمال.

وفي التعبير بالحال " وحده " دلالة على أن الإيمان بالله – ﷻ – لا يصح إلا إذا كان خالصًا له، وليس لأحد معه فيه نصيب، وهذا المعني هو ما أكد النبي – ﷺ – عليه بعده بجملة " لا شريك له "، فساق المعنى للمخاطب طردًا وعكسًا حتى يتضح له كل الوضوح، ويتأكد لديه كل التأكيد.
وكلٌّ من الحالين " وحده " و " لا شريك له " هنا من الأحوال اللازمة ؛ لأن وحدانية الله – ﷻ – ونفي الشرك عنه أمر ثابت له كل الثبوت على وجه الدوام، فالله – تبارك وتعالى – واحد أحد أزلًا وأبدًا.

وفي التعبير بلفظ " شريك " نكرة في سياق النفي هنا دلالة على العموم والشمول، أي أن النفي هنا يعم ويشمل أي شريك على الإطلاق.
ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – قال للحارث: " وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له "، ولم يقل له كما قال للنّجاشيّ– رضي الله عنه –: " وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تَتَّبِعَني، وتؤمن بالذي جاءني ؛ فإني رسول الله " [1] ؛ لأن النّجاشيّ كانت مسيحيته صحيحة بعيدة عن التحريف، إذن فهو على طاعة، وأُمِرَ بأن يوالي على طاعته لمسيحيته التي تأمره بالإيمان بنبوة النبي محمد – ﷺ – واتباعه، هذا بالإضافة إلى أن النّجاشيّ كان أقرب إلى الإيمان من أي ملك آخر ؛ ولذا فصّل النبي معه بعض التفصيل، وذلك بخلاف الحارث، فمسيحيته محرفة، وهو بعيد عن الحق ؛ ولذا فالأولى في مقام خطابه أن يخاطب بخطاب موجز كما خوطب كلٌّ من هِرَقْل والمُقَوْقِس، وهذا من أدل الدلائل على عظم بلاغة النبي، وكمال فصاحته، ولا غرو، فقد

(١) البحث صـ ٣٠.

صنعه الله – ﷻ – بعينه، وأدبه فأحسن تأديبه، وعَلَّمَه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيمًا.

ثم جاء النبي – ﷺ – بجملة " يَبْقى لَكَ مُلْكُكَ " كالجواب عن الشرط المتضمن في الكلام السابق، وكأن المعنى " وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، فإن تؤمن بذلك، وتمتثل لما دعوتك إليه، يبق لك ملكك "، وفي ذلك ضرب عظيم من الترابط الأسلوبي، والتماسك النصي، وذلك شأن الكلام البليغ الذي يدل بعضه على بعض، والذي يأتي مترابط الأجزاء، متماسك الأبعاض.

وجاء التعبير بالفعل المضارع " يبقى " للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي يبقى ملكك متجددًا باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

واستخدم النبي – ﷺ – لفظ " يبقى " ؛ لأن البقاء هو الثبات على الحالة السابقة وكونها مستصحبة، أي يبقى لك ملكك سابقًا ولاحقًا، وفي هذا تطمين بالغ للحارث على بقاء ملكه له.

وفي التعبير باللام وكاف الخطاب في " لك "، وإضافة " مُلْك " إلى كاف الخطاب زيادة تطمين له إن هو لَبّى دعوة النبي، ودخل في الإسلام ؛ لأن النبي لا ينازع أحدًا من الملوك في ملكه، وإنما يدعوه فقط إلى الإسلام، وعدم الحيلولة بين الرعية والدخول في الإسلام.

ولعل تقديم المتعلق الجار والمجرور " لك " على الفاعل " مُلْكُكَ " للدلالة على القصر، أي يبقى لك ملكك مقصورًا عليك لا ينازعك فيه أحد، وذلك حتى لا يظن الحارث أن دخوله في الإسلام يسلبه ملكه، وفي هذا من التطمين له ما فيه، ويؤيد ذلك ويؤكده قوله حينما قرئ عليه كتاب رسول الله – ﷺ –: " ومَنْ يَنْتَزِعْ مِنّي مُلْكي ؟ إني سأسير إليه "[1]، وضَنَّ بملكه، وأبى الدخول في الإسلام، وليته اكتفى بذلك، بل عَزَمَ على إعلان الحرب، والسير إلى الرسول،

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٦، عيون الأثر: ٢ / ٢٥٦، البداية والنهاية: ٦ / ٤٨٣، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٠٨.

ولكن سيده هِرَقْل ثناه عن قراره فانثنى، فباد وباد ملكه كما أخبر بذلك الرسول بقوله حينما أخبره رسوله وسفيره إليه برد فعله السفيه الشنيع: " بادَ مُلْكُه " [(١)].

يقول الشيخ / عبد المتعال الصعيدي: " ولم يكن النبي – ﷺ – يريد أن ينزع منه ملكه كما أخطأ في فهم كتابه، وإنما أراد أن يُثَبِّته ويُقَوِّيه بالإسلام ؛ لأنه لم يكن له إلا ملك صوريّ، وكان في الحقيقة تابعًا لدولة الروم، فإذا أسلم انقطعت صلته بهم، وصار له ملك حقيقي لا صوريّ، ولكنه أبى أن يُسْلِم، وأراد حرب المسلمين، فكان ما كان من زوال ملك الغساسنة بعد ظهور الإسلام بالشام "[(٢)].

ومن يتأمل هذه الرسالة يجد أنها موجزة الألفاظ، كثيرة المعاني والإيحاءات والإشارات، جامعة بين الترغيب والترهيب، والإغراء والتحذير، مع تغليب الترغيب والإغراء، كما يجد أنها قائمة على دعوة واحدة هي أساس هذا الدين الحنيف، وأهم أركانه التي بُنِيَ عليها، وهي الإيمان بالله – ﷻ – وحده لا شريك له، كل ذلك بأسلوب هو غاية في البلاغة والفصاحة، ونهاية في الترابط والإحكام، والسلاسة والانسجام، والدقة والوضوح.

(١) تاريخ الطبري: ٢ / ٦٥٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ٩٦، عيون الأثر: ٢ / ٢٥٧، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٠٨. ويرى البعض أنه أسلم، وخاف أن يظهر إسلامه، فيقتله قيصر، ولكن الراجح والصحيح أنه لم يسلم، ومات على كفره. السيرة الحلبية: ٣ / ٣٥٨.

(٢) السياسة الإسلامية في عهد النبوة: ١٤٢.

## المبحثُ الثاني: رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى هَوْذةَ بن عَلِيٍّ الحَنَفيّ أَميرِ اليَمامةِ:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلى هَوْذةَ بْنِ عَلِيٍّ[1]، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى، واعْلَمْ أَنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ " [2].

إن المتأمل في هذه الرسالة يجد أن النبي – ﷺ – بدأها بتقرير أنه رسول الله، ثم خاطب هوذة بن عليّ باسمه فقط دون لقب " ملك " أو " عظيم " كما خاطب النجاشي وهرقل والمقوقس، وغيرهم من الملوك الذين أرسل إليهم، فلم يقل له – مثلًا –: " إلى هوذة بن عليّ ملك بني حنيفة، أو عظيم بني حنيفة " ؛ لأن هوذة – وإن كان سيدًا من سادة العرب، وزعيم بني حنيفة وشاعرهم وخطيبهم وصاحب تاج – لم يكن مَلِكًا حقيقيًّا بمعنى كلمة الملك، ولم يكن صاحب مملكة ؛ لأنه– وإن كان مسيحيًّا – كان تابعًا لكسرى، حيث إن كسرى هو الذي أكرمه، وكساه التاج تشبيهًا بالملوك، يقول الدكتور / صلاح عبد الفتاح الخالدي عن هوذة هذا: " وقد زار كسرى، فأعجب الأخير به، وألبسه تاجًا على رأسه، وثَبَّتَه مَلِكًا على اليمامة، فاستمدّ هوذة قوته من اعتماد كسرى له " [3].

ثم أتبع النبي – ﷺ – ذلك بتلك الحقيقة المقررة، والتي يُحَيّا بها غير المسلم "سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدى "، ثم استأنف حديثه آمرًا فقال: " واعْلَمْ أَنَّ دِينِي

(١) هو هَوْذة بن عَلِيّ بن **ثُمامة بن عَمْرو** الحَنَفيّ صاحب اليمامة، كان سيّدا من سادة العرب، وشاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، يقال له: ذو التاج، الأعلام: ٨ / ١٠٢، وكان نصرانيًّا. صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٩، رحمةً للعالمين: ١٤٦.

(٢) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٠٩، ١١٠، وينظر: عيون الأثر: ٢ / ٣٥٥، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٧، نصب الراية: ٤ / ٤٢٥، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ٢٩٧، صبح الأعشى: ٦ / ٣٧٩، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٥٠، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٥٦، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٤٨، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٥٦، ١٥٧، الرحيق المختوم: ٣٢٨.

(٣) الرسول المبلغ: ٢٢١.

سيَظْهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافِرِ "، وذلك من باب عطف مضمون ما بعد الواو على مضمون ما قبلها ترابطًا للنص وتماسكًا.

والأمر في قوله: " اعلم " لطلب تحصيل الأمر الذي أخبره به، وهو أن الإسلام سيظهر، وسيبلغ إلى منتهى الخف والحافر، وكأن النبي – ﷺ – لما رأى في هوذة الحرص والغرور بملكه، والانبهار والإعجاب بملك الملوك والأباطرة كسيده كسرى أراد أن يطمئنه أن هذا كله سيخضع لسلطان الإسلام، وأن الإسلام سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر، الأمر الذي يجعله يبادر بالدخول في الإسلام، ولكن الهدى هدى الله ﷻ، فأبى وضَنَّ بملكه، واشترط لكي يُسْلِم أن يكون له نصيب من الأمر.

وأضاف النبي – ﷺ – الدين إلى نفسه في قوله: " ديني " – مع أن الدين لله – باعتبار أنه هو المبلّغ له، والمرسل به، والحامل للوائه.

واستخدم حرف التسويف السين في قوله: " سيظهر " لتأكيد الوعد بظهور هذا الدين الحنيف، وعبر بالسين دون سوف للدلالة على قرب ظهور ذلك الدين القَيِّم، وسرعة انتشاره.

وعبر النبي – ﷺ – بالفعل " يظهر " بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن ظهور ذلك الدين العظيم سيظل يحدث ويتجدد باستمرار شيئًا فشيئًا، وحالًا بعد حال، وآنًا بعد آن حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار، وفي ذلك إشارة إلى أن المستقبل المشرق الحي للإسلام، وذلك من دلائل نبوة النبي ﷺ.

وفي التعبير بهذا الفعل دون " يصل " – مثلًا – أو " ينتهي " دلالة على هيمنة ذلك الدين، وعلو سلطانه على كل المعتقدات والمِلَل الأخرى.

وفي قوله: " سيظهر إلى منتهى الخف والحافر " إيجاز بحذف متعلق الجار والمجرور، والتقدير: سيظهر وينتهي إلى منتهى الخف والحافر، وذلك لدلالة السياق على المحذوف، وتكثيفًا واكتنازًا للعبارة، أو أن الفعل " يظهر " عُدِّيَ بـ " إلى " لتضمنه معنى الفعل " ينتهي "، وجاء التعبير بـ " يظهر " ؛ لما ذُكِرَ من دلالته على الهيمنة والعلو.

وفي التعبير بلفظة " منتهى " إيحاء ببلوغ ذلك الدين ووصوله إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه الإنسان بأي وسيلة كانت، وفي أي مكان وصل وانتهى إليه.
وفي التعبير بكلٍّ من " الخف " و " الحافر " مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، حيث عبر بالجزء الأول – وهو الخف – عن الإبل، وعبر بالجزء الثاني – وهو الحافر – عن الخيل والبغال وغيرها، وجاء التعبير بهذين الجزأين بالذات ؛ لأن السعي يكون بهما.

وذكر النبي – ﷺ – هذه الوسائل التي تَجَوَّزَ عنها بالخف والحافر ؛ لأنها كانت وسيلة السفر والتنقل في ذلك الزمان، إذ الإبل والخيل والبغال رمز لكل ما يحمل الإنسان ويبلغه غايته من وسائل السفر القديمة والحديثة كالسفن والقطارات والطائرات وغيرها، وفي ذلك كناية عن انتشار هذا الدين العظيم، يقول الزرقاني: " والمراد أنه يصل إلى أقصى ما يصلان إليه فيؤمنون به " [(١)].

وبعد أن أخبر النبي – ﷺ – هوذة بهذه الحقيقة القاطعة التي تنطق بها الشواهد، وتؤيدها وتؤكدها الدلائل استأنف حديثه مرة أخرى آمرًا أيضًا بقوله: " فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ ".

والأمر في " أَسْلِم على حقيقته، أي الوجوب ؛ لأنه على سبيل الاستعلاء والإلزام ؛ لأن الكافر مخاطَب بالدخول في الإسلام، والمخاطِب هنا هو رسول الله ﷺ، ولأن العقوبة المترتبة على الإباء ورفض الدخول في الإسلام بعد العلم به وإقامة الحجة عقوبة مغلظة، وهي عذاب النار والعياذ بالله.

وفي الأمر وجوابه " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " ضرب من الترابط والتماسك للنص ؛ لأن الجواب مترتب على الامتثال للأمر ترتب النتيجة على المقدمة، والمعلول على العلة.

وبين كلٍّ من " أَسْلِمْ " و " تَسْلَمْ " لون بديعي رائع وخلاب، وهو جناس الاشتقاق ؛ لأن أصل اشتقاق الفعلين واحد مع اختلاف معنييهما،ولا يخفى ما في ذلك الجناس من تحريك لذهن المتلقي، وبعث لفكره ؛ لأنه حينما يسمع الفعل تَسْلَمْ " قد يظن أنه نفس معنى الفعل الأول " أَسْلِمْ "، لكن بعد أن يتأمل

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٤٤.

ويدقق، ويعمل عقله وفكره، يتبين له أن الثاني غير الأول، وفي ذلك تثبيت للمعنى في ذهنه، وتقرير له في نفسه ؛ لأن الشيء إذا نِيلَ بعد تفكر وتأمل كان أمكن في النفس، وأرسخ وأبقى في القلب.

وهذه العبارة " أَسْلِمْ تَسْلَمْ " على وجازتها تحمل ترغيبًا وترهيبًا، فهي ترغيب صريح، أي إن أَسْلَمْتَ تَسْلَمْ وتنجو وتفوز بسعادة الدارين، وترهيب ضمني بمفهوم المخالفة، أي إن لم تُسْلِمْ لم تَسْلَمْ، ولم تنج، وستخسر الدنيا والآخرة، وذلك من بليغ القول وجوامع كلمه ﷺ.

والفعل " أَجْعَلْ " يحتمل أن يكون جوابًا ثانيًا للفعل " أَسْلِمْ " المذكور، ويكون معطوفًا على الفعل " تَسْلَمْ "، ويحتمل أن يكون جوابًا لفعل أمر آخر مقدر دل عليه المذكور، والتقدير: وأَسْلِمْ أَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ، وبناء على هذا الاحتمال الثاني يكون في الكلام إيجاز بالحذف.

وفي قوله – ﷺ–: " أَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ " بإسناد الجَعْل للنبي إيحاء لهوذة بأن الأمر هنا أصبح بيد رسول الله، وفي هذا تطمين له على ملكه حتى لا يظن أن دخوله في الإسلام يسلب منه الملك أو ينازعه فيه، كما في ذلك أيضًا إشارة إلى إخلاص النبي لدعوته، وأنه يسعى إلى تبليغها لا إلى احتياز الملك والظفر به.

وفي التعبير بالجار والمجرور " لك " وتقديمهما على المفعول به " ما " دلالة على الاختصاص، أي اختصاص هذا الملك بك دون غيرك، وفي هذا من التطمين له ما فيه.

وفي التعبير بالاسم الموصول " ما " دلالة على العموم، أي أجعل لك كل ما تحت يديك، بحيث لا يُسْلَب منك أي شيء، أو حتى تُنازَع فيه، بل سَيُثَبَّتُ لك، وسيكون ملكك ملكًا حقيقيًّا لا صوريًّا.

وفي قوله – ﷺ – " تحت يديك " استعارة تمثيلية، حيث شبه الشيء يحتازه الإنسان ويملكه ويسيطر عليه بالشيء يجعله تحت يديه بحيث لا يستطيع الخروج عن سيطرته وسلطانه، وذلك بجامع التملك والتمكن والسيطرة في كلٍّ،

ثم حذفت صورة المشبه، وصرح بلفظ صورة المشبه به، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية، وفي ذلك ضرب عظيم من التصوير بإظهار الشيء من حيّز المعقول إلى حيّز المحسوس، ودائرة المشاهد الملموس، بحيث يحسه المشاهد، ويشعر به كأنه يراه رؤية عين.

وفي العبير بـ " يديك " مجاز مرسل بعلاقة السببية، حيث عبر باليدين، وأريد بهما السلطان والنفوذ والسيطرة والقدرة، ولعل في التثنية – حيث قال: "يديك"، ولم يقل: " يدك " – لونًا من المبالغة في السيطرة والهيمنة والسلطان ؛ لأن الشيء حينما يكون تحت اليدين تكون السيطرة عليه أقوى وأشد وأحكم مما لو كان تحت يد واحدة.

ونلحظ هنا أن النبي – ﷺ – قال لهوذة: " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ "، ولم يقل له – وهو نصراني –كما قال لهِرَقْل: " أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ " ؛ ولعل ذلك لأن المسيحية التي كان يدين بها هوذة كانت شكلًا أو اسمًا فقط، حيث كان أقرب إلى المجوسية التي يعتنقها سيده كسرى منها إلى المسيحية، وكأن مسيحيته كانت هي والعدم سواء.

والمتأمل في هذه الرسالة النبوية يجد أنها على وجازتها واختصارها قد تضمنت معاني كثيرة وغزيرة، واشتملت على إيحاءات متعددة ومتنوعة، ولطائف جمة، وفوائد عديدة، وجمعت بين الترغيب والترهيب، والبشارة والتطمين، وإن كان الترغيب فيها كثيرًا وصريحًا، والترهيب ضمنيًّا وقليلًا.

ففيها البشارة بقوله – ﷺ –: " واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر "، وذلك من أعلام النبوة، وفي إخبار النبي لهوذة بأنه سيجعل له ما تحت يديه إن هو أسلم تطمين له على ما يخاف عليه، وهو ملكه الذي منحه إياه سيده كسرى، هذا بالإضافة إلى ما نجده فيها من قوة التأثير والإقناع، حيث أَثّر أسلوبها في نفس هوذة حتى أفصح عما جاش في صدره، وأثنى على النبي خيرًا، وتيقّن أنه النبي الذي بشّر به نبي الله عيسى عليه السلام، وكاد أن يُسْلِم، لكن الخبيث ضَنَّ بملكه، وأبى الدخول في الإسلام، حيث قد ورد أنه " لما قَدِمَ سَلِيط بكتاب النبي – ﷺ – مختومًا أنزله وحَيّاه، وقرأ عليه الكتاب، فرَدَّ رَدًّا

**دون رَدٍّ [1]، وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ! وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتَّبِعْكَ " [2].**

(١) رَدَّ رَدًّا دون رَدٍّ: أي قال قولًا جميلًا، واعترف بأن الإسلام هو الحق، وأن نَبِيّه هو النبي الذي كان منتظرًا، ولكنه لم يُسْلِمْ، فكأنه لم يَرُدّ.

(٢) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١١٠، وينظر: عيون الأثر: ٢ / ٣٥٥، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٧، ٦٠٨.

## المبحثُ الثالثُ: رِسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى المُنْذِرِ بن ساوَى أَميرِ البَحْرَيْنِ:

**"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إلى المُنْذِرِ بْنِ ساوَى [(١)] ، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى. أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ إلى الإِسْلامِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، واعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافِرِ " [(٢)].**

**لقد كان المنذر بن ساوى العَبْديّ – ﷺ – نائبًا لكسرى على البحرين التي كانت تخضع للنفوذ الفارسي على عهد رسول الله ﷺ [(٣)]، وكان نصرانيًّا قبل إسلامه [(٤)]، ومن يتأمل رسالة النبي إليه بجد بينها وبين رسالته – ﷺ – إلى هَوْذة بن علي السابقة شبهًا كبيرًا، حيث مضمونهما واحد، وطبيعة المخاطَب فيهما تكاد تكون واحدة، فكلٌّ من هَوْذة بن علي والمنذر بن ساوى كانا يستمدان سلطانهما ونفوذهما من سلطان كسرى ونفوذه، حيث كان هَوْذة نائبًا وعاملًا**

---

(١) هو المُنْذِر بن ساوى بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله العَبْديّ التميميّ الدارميّ، كان عامل البحرين من قبل كسرى، أرسل إليه النبي يدعوه إلى الإسلام فأسلم، ومات بالقرب من وفاة النبي ﷺ. الإصابة في تمييز الصحابة: ٦ / ١٦٩، ١٧٠ / ابن حجر العسقلاني / تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، الأعلام: ٧ / ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٦٢، وينظر: نصب الراية: ٣ / ٣٩٢، ٤ / ٤٢٠، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٤٥ ، الرسول المبلغ: ٢١٣، ٢١٤.

(٣) فتوح البلدان: ٨٥ / البَلاذُري / دار ومكتبة الهلال / بيروت / ١٩٨٨م، صبح الأعشى: ٦ / ٣٥٣، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٤٤، تاريخ الفكر الديني الجاهلي: ٣٨٧ / د / محمد إبراهيم الفيومي / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الرابعة / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

( ٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٨ / ٧٨ / د / جواد علي / دار الساقي / بيروت / لبنان / الطبعة الرابعة / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية: ٨٥ / د / محمد سهيل طقّوش / دار النفائس / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.

لكسرى على اليمامة، وكان المنذر نائبًا وعاملًا لكسرى على البحرين، وعقيدة كلٍّ منهما ونصرانيته تكاد تكون واحدة من حيث الفساد والتحريف ؛ ولذا كان ذلك وغيره أدعى إلى أن تكون رسالتاهما متشابهتين، إن لم تكونا متحدتين.

وذكر النبي – ﷺ – اسمه وصفته في قوله: " مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ " وعند الزَّيْلَعيّ بلفظ " من محمد بن عبد الله " [1] بصفة العبودية لله ﷻ، فالنبي محمد عَبْدٌ لله، و في الوقت نفسه هو رسول الله، وفي الوصف بالعبودية هنا إيحاء للمنذر بأن كل الناس حتى الأنبياء – عليهم جميعًا الصلاة والسلام – عَبِيدٌ لله، وذلك بخلاف ما كان يصنعه بعض الناس مع كسرى كالسجود له، وغير ذلك مما لا يصح عقديًّا، ولا يليق أن يصنع إلا لله ﷻ.

وزادت هذه الرسالة على رسالة هَوْذة أمير اليمامة بقوله – ﷺ – : " فإني أدعوك إلى الإسلام "، وتَقَدَّمَ فيها الدعوةُ إلى الإسلام وطلب الدخول فيه في قوله: " فَإِنِّي أَدْعُوكَ إلى الإِسْلامِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ " على جملة " واعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافِرِ "، وذلك عكس رسالة هوذة، حيث جاء فيها قوله: " واعْلَمْ أَنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إلى مُنْتَهى الخُفِّ والحافِرِ " قبل قوله: " فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ "، ولعل السر في ذلك – والله أعلم – هو أن نفس المنذر كانت أقرب إلى قبول الإسلام، وأكثر استعدادًا له من نفس هَوْذة، ولعل ما يفسر هذا التعليل هو أن المنذر أَقَرَّ بالأمر،وأسلم بلا تردد، بخلاف هَوْذة فقد اقتنع بأن الإسلام هو الدين الحق، وأن نبي الإسلام – ﷺ – هو خاتم الأنبياء، وأن ما جاء به هو الحق، ولكنه ضَنَّ بملكه، وآثر الحياة الدنيا، واشترط مقابل إسلامه أن يكون له نصيب من الأمر، قال الله – ﷻ –: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [2].

وجاءت جملة " إني أدعوك إلى الإسلام " مؤكدة بـ " إن " واسمية الجملة وتكرار إسناد الفعل، حيث أسند مرة إلى اسم " إن " ومرة أخرى إلى الضمير

(١) نصب الراية: ٣ / ٣٩٢.
(٢) النمل: ١٤.

المستتر وهو الفاعل لقوة إحساس النبي – ﷺ – بهذا المعنى، ولمواجهة ما قد يعتري المنذر من تردد أو شك أو إنكار في ذلك الخبر.

وجاء الفعل " أَجْعَلْ " في قوله – ﷺ – في رسالته إلى هَوْذة: " أَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ " مسندًا إلى الضمير العائد على النبي، بينما الفعل " يَجْعَلْ " في قوله – ﷺ – في رسالته إلى المنذر: " يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ " جاء مسندًا إلى لفظ الجلالة " الله "، ولعل السر في ذلك هو أن هوذة كان لا يطمئن على ملكه إلا للمحسوس المشاهد أمام عينيه، فأسند النبي الجَعْلَ لنفسه مع هَوْذة، بخلاف المنذر فلعله كان لديه بعض الإيمان بالغيب ؛ ولذا أسند النبي الجَعْلَ معه لله ﷻ.

وفي إسناد الفعل " يَجْعَلْ " إلى لفظ الجلالة " الله " هنا تطمين بالغ للمنذر على ملكه، حيث الذي يحفظه له هو القوي القادر جل في علاه.

والمتأمل في هذه الرسالة يجد أنها كسابقتها قد جمعت بين الترغيب والترهيب، مع تغليب جانب الترغيب، وكثر في جملهما ضمير الخطاب الذي يجعل النص أكثر تلازمًا وترابطًا وتماسكًا.

والناظر في رسالة النبي – ﷺ – إلى المنذر يجد أن مادة " س ل م " قد وردت فيها خمس مرات، بينما قد جاءت في رسالته إلى هَوْذة ثلاث مرات ؛ ولعل ذلك لأن نفس المنذر كانت أقرب إلى اعتناق الإسلام والحس به من نفس هَوْذة، وكأن الله – ﷻ – قد كشف للنبي – ﷺ – الحُجُب، وأطلعه على قلب كل واحد منهما، فخاطبه بما يتناسب مع حاله، ويطابق مقامه، وهل البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ؟

## المبحثُ الرابعُ: رسالةُ النبيِّ – ﷺ – إلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ ابْنَي الجُلَنْدى أَمِيرَي عُمانَ:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، إِلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ(١) (٢) ابْنَي الجُلَنْدى (٣)، سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى. أَمّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكُما بِدِعايةِ الإِسْلامِ، أَسْلِما تَسْلَما، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلى النّاسِ كافَّةً ؛ لأُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا ويَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ، وإِنَّكُما إِنْ أَقْرَرْتُما بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُما، وإِنْ أَبَيْتُما أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُما زَائِلٌ عَنْكُما، وخَيْلِي تَحُلُّ بِساحَتِكُما، وتَظْهَرُ نُبُوَّتِي على مُلْكِكُما " (٤).

من الأمراء الذين أرسل إليهم النبي – ﷺ – أيضًا، ودعاهم إلى الإسلام جَيْفَر وعَبْد ابنا الجُلَنْدى، وكانا نصرانيّين، وكانا أميرين على عُمان، وتابعين في حكمهما وسلطانهما لكسرى عظيم ومَلِك الفرس ؛ ولذلك خاطبهما النبي باسميهما بدون ألقاب ؛ لأنهما لا يملكان الإرادة السياسية في القرار، حيث

(١) عَبْد: بالباء، وقيل: عِيد: بالياء، وقيل: عَبّاد: بفتح العين وتشديد الباء، والأول هو الأشهر، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٣٧.

(٢) هما جَيْفَر وعَبْد ابنا الجُلَنْدى بن كركر بن المستكبر الأزديّين، مَلِكا عُمان من قِبَل كسرى، دعاهما - ﷺ - النبي إلى الإسلام فأسلما. الإصابة في تمييز الصحابة: ١ / ٦٤٠. وكانا نصرانيّين. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ٨٥ / ابن قيّم الجوزية / تحقيق: عثمان جمعة ضميرية / دار عالم الفوائد / مكة المكرمة / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ، خاتم النبيين: ٣ / ٨٧١ / محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي / القاهرة / ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: ١ / ٧٠ / الأب لويس شيخو اليسوعي / دار المشرق / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٩٨٩م.

(٣) الجُلَنْدى: بضم الجيم وفتح اللام وسكون النون والقصر، وورد بضم الجيم واللام مقصورًا أيضًا، وورد كذلك بضم الجيم وفتح اللام ممدودًا هكذا: الجُلَنْداء. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية: ٥ / ٣٧.

(٤) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٩٧، وينظر: عيون الأثر: ٢ / ٣٥٣، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٥، نصب الراية: ٤ / ٤٢٣، المِصْباح المُضيّ: ٢ / ٢٥٤، ٢٥٥، صبح الأعشى: ٦ / ٣٨٠، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ١ / ٥٤٧، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٥٤، جمهرة رسائل العرب: ١ / ٥٠، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٦١، ١٦٢، الرحيق المختوم: ٣٢٩.

إنهما ليسا ملكين حقيقيين، وإنما كانا يستمدان سلطانهما وسيادتهما على قومهما وأرضهما من سلطان سيدهما كسرى وسيادته.

ونلحظ هنا تشابهًا بين هذه الرسالة ورسالة النبي – ﷺ – إلى كسرى السابقة(١)، فقد قال النبي في رسالته لكسرى: " أَدْعُوكَ بِدِعايَةِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنا رَسُولُ اللَّهِ إلى النّاسِ كافَّةً، لأُنْذِرَ (٢) مَنْ كانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَولُ على الْكافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ"(٣)، وقال هنا " فَإِنِّي أَدْعُوكُما بِدِعايةِ الإِسْلامِ، أَسْلِما تَسْلَما، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إلى النّاسِ كافّةً ؛ لأُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا ويَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ " ؛ ولذا فقد اكتفيت بتحليل العبارة المُوَجَّهة إلى كسرى تفاديًا للتكرار (٤)،ولعل هذا التشابه قد جاء نظرًا لتبعيتهما في السلطة والسيادة لكسرى.

كذلك نلحظ تشابهًا بين هذه الرسالة والرسائل المُوَجَّهة إلى كلٍّ من الحارث بن أبي شِمْر الغسّاني أمير دمشق، وهَوْذة بن علي الحنفيّ أمير اليمامة، والمنذر بن ساوى أمير البحرين، وذلك في الوعد لهم بتثبيت ملكهم في حالة استجابتهم لدعوة رسول الله – ﷺ – بدخولهم في الإسلام، فنجد في رسالته إلى الحارث قوله: " وَإِنّي أَدْعُوكَ إلى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، يَبْقى لَكَ مُلْكُكَ" (٥)، وفي رسالته إلى هَوْذة قوله: " فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وأَجْعَلْ لَكَ ما تَحْتَ يَدَيْكَ" (٦)، وفي رسالته إلى المنذر قوله: " وَأَسْلِمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ " (٧)، وفي رسالته إلى جيفر وعبد التي معنا هنا قوله: " وإنَّكُما إنْ أَقْرَرْتُما بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُما " ؛ وذلك لأن هؤلاء الأمراء الأربعة جميعًا لم يكن ملكهم ملكًا مستقلًا، وإنما كان ملكًا صوريًّا، فقد كان الحارث تابعًا لهِرَقْل، وقد كان كلٌّ من هَوْذة، والمنذر،

(١) البحث صـ ٤٧.
(٢) بهمزة المضارعة بدلًا من الياء كما جاء عند كلٍّ من ابن الأثير والقلقشندي. ينظر البحث صـ ٥١، هامش رقم: ١.
(٣) البحث صـ ٤٧.
(٤) البحث صـ ٤٩ - ٥٢.
(٥) البحث صـ ٥٥.
(٦) البحث صـ ٦٠.
(٧) البحث صـ ٦٤.

وجيفر وعبد تابعين لكسرى، أي أن هؤلاء الأمراء الذين هم في صورة الملوك ليسوا بملوك حقيقيّين، حيث كانوا جميعًا نوّابًا وعُمّالًا لغيرهم على الأراضي التي كانوا يحكمونها ؛ ولذلك خاطبهم النبي – ﷺ – جميعًا بأسمائهم مجردة من الألقاب، ولم يُرِدْ النبي أن ينزع منهم ملكهم، وإنما أراد أن يُقَوِّيه ويُثَبِّته لهم بالإسلام، بحيث يكون ملكًا حقيقيًّا لا صوريًّا.

وبعد أن دعا النبي – ﷺ – جيفرًا وعبدًا إلى الإسلام معلِّلًا سبب قيامه بهذا الأمر الجَلَل بقوله: " فَإِنِّي أَدْعُوكُما بِدِعايةِ الإِسْلامِ، أَسْلِما تَسْلَما، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إلى النّاسِ كافّةً ؛ لأُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا ويَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ " عطف على ذلك قوله: " وإنَّكُما إنْ أَقْرَرْتُما بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُما، وإنْ أَبَيْتُما أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُما زَائِلٌ عَنْكُما، وخَيْلِي تَحُلُّ بِساحَتِكُما، وتَظْهَرُ نُبُوَّتِي على مُلْكِكُما ".

وبدأ كلامه المعطوف مؤكدًا بـ " إنّ " واسمية الجملة لتقوية المعنى، ومُصَدَّرًا بضمير الخطاب للمثنى تحديدًا وتخصيصًا للمخاطب ؛ ليُبْني على هذا الضمير، ويتعلق به ما يأتي بعد ذلك.

واستخدم النبي – ﷺ – أداة الشرط " إن " الدالة على الشك وعدم تحقق الوقوع في قوله: " إن أقررتما بالإسلام " ؛ لأن إقرارهما بالإسلام، ودخولهما فيه – وخاصة جيفر – قد جاء بعد تردد كثير، وحوار طويل دار بينهما وبين رسول رسول الله وسفيره إليهما عمرو بن العاص –رضي الله عنه– ومماطلة كثيرة من جيفر [1]، وكأن إقرارهما بالإسلام كان أمرًا يُشَكّ فيه.

وعبر بصيغة الماضي " أقررتما "، ولم يقل: " تُقِرّا " بصيغة المضارع حرصًا من النبي – ﷺ – على تحقق وقوع الإقرار بالإسلام منهما، حتى كأنه وقع، وأخبر النبي عنه، وكأن الله – ﷻ – أطلع نبيه على قلبيهما، وأعلمه بأنهما سَيُقِرّان بذلك، وإن ترددا فيه في بداية الأمر.

واستخدم النبي – ﷺ – هنا الإقرار دون الاعتراف ؛ لأن الإقرار هو التكلم بالحق اللازم على النفس مع توطين النفس على الانقياد والإذعان، أما الاعتراف

(١) يراجع هذا الحوار وقصة إسلامهما في: عيون الأثر: ٢ / ٣٥٣، ٣٥٥، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٥ - ٦٠٧، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ٩٧ - ١٠٠.

فهو التكلم بذلك وإن لم يكن معه توطين للنفس، أو أن الاعتراف هو ما كان باللسان [1]، ومعلوم أن الإيمان لا يكفي فيه الاعتراف باللسان، والمقصود هنا هو الاعتراف باللسان مع توطين النفس واعتقادها وتصديقها بذلك الاعتراف وانقيادها وإذعانها له، ولو كان الكلام مجرد قول باللسان لكان ذلك نفاقًا لا إيمانًا.

وأسند – ﷺ – التولية لنفسه في قوله: " وَلَّيْتُكما " ؛ لأنه أصبح رئيس دولة الإسلام، وهو الذي بيده مقاليد الحكم.

وعبر بأداة الشرط " إن " أيضًا في قوله: " وإِنْ أَبَيْتُما أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُما زَائِلٌ عَنْكُما " إبرازًا لإبائهما في صورة المشكوك فيه، وغير المقطوع بحصوله طمعًا في هدايتهما.

وعبر بلفظ " الإسلام " هنا مظهرًا مع سبق ذكره مظهرًا في الجملة السابقة ؛ لأن " الإسلام " هو محور الحديث، ونقطة الارتكاز، ولذا فالإظهار هنا أولى من الإضمار اهتمامًا به، وتقريرًا وتثبيتًا له في نفس المتلقي.

واستخدم المصدر المؤول هنا " أن تُقِرّا " دون المصدر الصريح، حيث لم يقل: " وإن أبيتما الإقرار بالإسلام " ؛ لما في المصدر المؤول من زيادة فائدة على المصدر الصريح، وهي الدلالة على الزمن، وهو هنا الاستقبال، أي إن أبيتما الإقرار بالإسلام بعد علمكما بدعوتي لكما في رسالتي هذه فإن ملككما زائل عنكما.

وأكد جملة جواب الشرط " فإن ملككما زائل عنكما " بـ " إنّ " واسمية الجملة ؛ ليأخذا الأمر مأخذ الجد، ويهتما به، ولئلا يحملا كلام النبي – ﷺ – على أنه مجرد تخويف وترهيب يمكن معالجتهما.

وفي اقتران جملة جواب الشرط هذه بالفاء الرابطة للجواب بالشرط ضرب من التماسك لأجزاء النص، والترابط والتلاحم لأبعاضه، حتى يبدو الأسلوب وحدة واحدة متماسكة مترابطة.

---

(١) معجم الفروق اللغوية: ٦٥ / الشيخ / بيت الله بيات / مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة السادسة / ١٤٣٣ هـ.

وأضاف النبي – ﷺ – الملك لهما في قوله: " فإن ملككما زائل عنكما " بناء على ما يظنانه في نفسيهما وإن كان ملكهما صوريًّا لا حقيقيًّا، حيث كانا عاملين تابعين لكسرى فيما وُلِّيا عليه.

وقال هنا: " فإن ملككما زائل عنكما "، ولم يقل: " عَزَلْتُكما " في مقابل قوله في الجملة السابقة: " وَلَّيْتُكما " حتى لا يظن البعض أن النبي – ﷺ – يعزل ليملك هو طمعًا في الملك، حاشاه عن ذلك.

وفي مجيء المسند هنا " زائل " اسمًا دلالة على الثبوت والدوام، أي إنكما إن أبيتما الإقرار بالإسلام فإن زوال ملككما عنكما ثابت ودائم أبدًا، وفي التعبير بـ " عنكما " زيادة في تأكيد زوال ملكهما وانفصاله عنهما.

وبين الجملتين الشرطيتين " إِنْ أَقْرَرْتُما بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُما " و " إِنْ أَبَيْتُما أَنْ تُقِرّا بِالإِسْلامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُما زَائِلٌ عَنْكُما " مقابلة معنوية بليغة، حيث قابل النبي – ﷺ – إباء الإقرار بالإسلام بالإقرار به، وزوال الملك الذي هو من لوازم العزل بالتولية، وتتجلى بلاغة هذه المقابلة فيما أضفته على الأسلوب من توازن وتناسب، وفي إبرازها للمعنى قويًّا مترابطًا بذكر الشيء وضده، واتضاح خصائص كل واحد منهما، وتحديده في ذهن المتلقي تحديدًا قويًّا، هذا بالإضافة إلى ما أفادته من أن زمام الأمور قد أصبح كله بيد رسول الله ﷺ.

وفي إضافة " خَيْل " في قوله: " وخَيْلِي تَحُلُّ بِساحَتِكُما "إلى ضمير المتكلم العائد على النبي – ﷺ – دلالة على أنها خيل كريمة وكرّارة، والمقصود بها خيل جيوش المسلمين، وليس خيل النبي وحده، وإنما أضافها إليه على اعتبار أن الكل تابع له، ومُنْضَوٍ تحت لوائه، ولأنه ﷺ هو المنوط به الدفاع عن حوذة الدين وحماية بنيان العقيدة والحفاظ على نشرها وبسطها.

وفي التعبير بلفظ " ساحة "، وإضافتها إلى الضمير العائد إلى جيفر وعبد دلالة على أن جيوش الإسلام الفاتحة كانت – إن لم يُسْلِما – ستسيطر على كل ما يملكانه حتى موضع قدميهما هاتين.

وفي التعبير بالفعل " تَظْهَر " في قوله – ﷺ –: " وتَظْهَرُ نُبُوَّتِي على مُلْكِكُما" دلالة على القوة والغلبة والانتصار، وفي مجيئه بصيغة المضارع دلالة على

التجدد والحدوث الاستمراري، أي أن هذا الظهور يحدث متجددًا باستمرار حالًا بعد حال، وآنًا بعد آن.

ولأن النبوة تقوم على الحق وإحقاقه وهي الباقية بثمارها أما الملك فمتحول وزائل لا بقاء له وليس شأنه الملك بل الدعوة وحمايتهاذ.

وقال النبي – ﷺ –: " نُبُوَّتِي "، ولم يقل: " مُلْكي " ليكون مقابلًا لقوله: "ذمُلْككما " ؛ لأنه لم يكن ساعيًا لملك، وإنما كان رسولًا مُكَلَّفًا من ربه – ﷻ – بتبليغ رسالة الإسلام.

وفي التعبير بالحرف " على " الدالّ على الاستعلاء دلالة على العزة والفوقية ؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وجاء عند كلٍّ من ابن حُدَيْدة [1] والقلقشندي [2] بلفظ " في " بدلًا من " على "، وفيه دلالة على التمكن، أي إنكما إن لم تُقِرَّا بالإسلام فإن جيوش المسلمين الفاتحة ستصل إلى ساحتكما، وستجعلها تحت ظل حكم الإسلام.

والمتأمل في هذه الرسالة يجد أن النبي – ﷺ – قد بلّغ دعوته لكلٍّ من جيفر وعبد رضي الله عنهما، وعرض عليهما الإسلام، وأقام عليهما الحجة، " وسلك معهما طريقين مُؤَثِّرين: طريق الترغيب ببيان الخير الذي ينتظرهما في الدنيا والآخرة إن أسلما، وطريق الترهيب ببيان الخسارة التي تنتظرهما في الدنيا والآخرة إن رفضا الإسلام " [3].

ولكن الترهيب هنا في هذه الرسالة قد جاء بصورة أوضح مما جاء في الرسائل السابقة، حيث قد ذكر فيها استعمال القوة في حالة عدم إقرارهما بالإسلام، يقول الشيخ / عبد المتعال الصعيدي مُبَيِّنًا سبب ذلك في تعليقه على هذه الرسالة: " والناظر في هذا الكتاب يرى فيه تهديدًا باستعمال القوة في الدعوة، مع أن الإسلام يقوم على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولعل السبب في هذا أن تلك الإمارات كانت تساعد القبائل العربية المُحارِبة للمسلمين ؛ لأن بلادها كانت ذات زرع وخصب، فكانت تمد هذه القبائل بحبوبها وأسلحتها،

(١) المِصْباح المُضيّ: ٢ / ٢٥٥.
(٢) صبح الأعشى: ٦ / ٣٨٠.
(٣) الرسول المبلغ: ٢٠٣.

**فتساعدها على المُضِيّ في حرب المسلمين، وقد سبق أن قريشًا حينما قُطِعَتْ عنها حبوب اليمامة ساء حالها، وظهر العجز والضعف عليها... فأراد النبي – ﷺ – أن يقف منها موقفًا حاسمًا، فإما أن تكون له، وإما أن تكون عليه ؛ ليصل إلى أمر حاسم في هذه القبائل التي تعتمد عليها في حربه "** (١)**، فاستجاب كلٌّ من جيفر وعبد – رضي الله عنهما – لداعي الله، وأسلما، وأصبحا جنديين من جنود الإسلام، رضي الله – ﷻ – عنهم جميعًا** (٢).

(١) السياسة الإسلامية في عهد النبوة: ١٤٤، ١٤٥.
(٢) عيون الأثر: ٢ / ٣٥٥، زاد المعاد: ٣ / ٦٠٧، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ: ١٠٠.

# الخاتمة

إن البيان النبوي منبع ثَرٌّ لا يغيض، ومعين فيّاض لا ينضب، وهو أعلى بيان بشري، حيث يأتي تاليًا لبيان القرآن وفوق بيان البشر، ولا غرو فهي بلاغة من أُوْتِيَ فصل الخطاب، وأُعْطِيَ جوامع الكلم، وأفصح العرب والعجم، وبلاغة من كان القرآن الكريم أستاذه، وأدبه ربه فأحسن تأديبه، يقول العَلّامة الأستاذ الكبير/ أحمد حسن الزيات: " إن بلاغة الرسول – ﷺ – من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه، وإنما نعلم خبره. وهل يدرك المرء من آثارا لشمس غير الضوء والحرارة ؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة ؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة ؟ إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية، وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز،فإن كلام الرسول – ﷺ – سنة هذا البيان،وإذا كان البلا غ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد – ﷺ – وحده" (١).

ولقد سار هذا البحث مع رسائل النبي – ﷺ – إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام بالدراسة والتحليل، والتطواف مع أساليبها، وطرق تعبيرها، وألوان خطابها، وخصائص أدائها، ومضامينها وأفكارها، ثم استقر وقد أسفر عن عدة نتائج وتوصيات من أهمها ما يلي:

١ – اختلاف أساليب الخطاب وطرق التعبير في هذه الرسائل تبعًا لاختلاف شخص المخاطَب بها بين كتابيّ ومجوسيّ

، وعربيّ وعجميّ، ومَلِك وأمير، ومستقل وتابع، فقد وُجِدَت بينها فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة، وبلاغة الداعي، واختلاف حال المخاطَب، فمثلًا لما كان كلٌّ من هِرَقْل والمُقَوْقِس يدينان بألوهية المسيح – عليه السلام – كليًّا أو جزئيًّا، وكونه ابن الله – تعالى الله – ﷻ – عن ذلك علوًّا كبيرًا – جاء في الرسالتين الموجهتين إليهما الوصف بالعبودية لله هكذا " مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ "، و " مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ ورَسُولِهِ إلى المُقَوْقِسِ

(١) وحي الرسالة ١٠٥/٣/أحمد حسن الزيات/دار الثقافة/ بيروت/لبنان/الطبعة السادسة/١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

عَظِيمِ القِبْطِ "، وذلك بخلاف الرسالتين الموجهتين إلى النّجاشيّ وكسرى، ففيهما الوصف بالرسالة فقط هكذا " مِنْ مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ إلى النَّجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشةِ "، و " مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّهِ إِلَى كِسْرى عَظِيمِ فارِسٍ "، كما لوحظ أن النبيّ – ﷺ – إذا خاطب الملوك أَتْبَعَ اسم كل واحد منهم لقبه اللائق به، فنجد قوله: " إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ "، و " إلى المُقَوْقِسِ عَظِيمِ القِبْطِ "، و " إلى النَّجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشةِ "، و " إِلَى كِسْرى عَظِيمِ فارِسٍ "، وإذا خاطب الأمراء اكتفي بذكر أسمائهم بناء على تبعيتهم في سلطانهم للملوك وعدم استقلالهم، فنجد قوله: " إلى الحارِثِ ابْنِ أبي شِمْرٍ "، و " إلى هَوْذةَ بْنِ عَلِيٍّ "، و " إلى المُنْذِرِ بْنِ ساوَى "، و " إلى جَيْفَرٍ وعَبْدٍ ابْنَي الجُلَنْدى "، وهل البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب ؟ وكأن الله أطلعه على قلوب هؤلاء الملوك والأمراء، فخاطب كل واحد بما يتناسب مع حاله ؛ ولذا أوصي الدعاة والمعلمين بمراعاة حال من يخاطبونهم، حيث إن المطابقة هي علة التأثير.

٢ – البلاغة العالية المتمثلة في عذوبة الأسلوب ورقته، وسهولة الألفاظ ودقة اختيارها، ووضوح المعاني وعمقها، وتحديد الأفكار وإحكامها، وإصابة الغرض، والملاءمة بين الألفاظ والمعاني، والبعد عن الغرابة والغموض، واجتناب التصنع والتكلف، فما كان النبي يعمد – ﷺ – إلى تزويق القول وزخرفه وإغرابه، وإنما كان يعمد إلى فكرته، وتبليغ دعوة الإسلام في غير إسهاب ولا غموض ولا التواء ولا تصنع ولا تكلف ؛ ولذا أوصي كلَّ داعية أو مُعَلِّم أو أديب بالبعد عن التكلف والتقعر والتصنع والإغراب، الأمر الذي يجعل النص مُغْلَقًا مُبْهَمًا، ويحول بين الفكرة والمخاطَب بها، فيكونون قد أساءوا من حيث قصدوا الإحسان، وإنما عليهم أن يرسلوا الأفكار على سجيّتها تكتسي من معارض الألفاظ والأساليب ما يناسبها، ويقتضيه حال المخاطَب بها.

٣ – ومما يُعَضِّد بلاغة هذه الرسائل ويؤازرها حسن اختيار النبي – ﷺ – لرسله وسفرائه إلى هؤلاء الملوك والأمراء، وتوفيقه في ذلك كل التوفيق، حيث اختار لهذه المهمة العظمى والصعبة من أصحابه رسلًا لهم خبرة ومعرفة بطبائع

وعادات ولغات من أُرْسِلوا إليهم [١]، فمثلًا قد خَصَّ عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ بإرساله إلى كسرى ملك الفرس ؛ لأنه كان يتردد عليهم كثيرًا، ويختلف إلى بلادهم [٢]، وخَصَّ أيضًا سَلِيط بن عَمْرٍو بإرساله إلى هَوْذة بن عليّ الحَنَفيّ أمير اليَمامة ؛ لأنه كان يختلف إلى اليَمامة[٣]، ومما يؤيد هذا التوفيق ويؤكده قول المُقَوْقِس لسفير النبي – ﷺ – إليه – وقد أعجب بإجاباته على أسئلته في الحوار الذي دار بينهما –: " أَحْسَنْتَ، أنت حكيم جئت من عند حكيم " [٤] ؛ ولذا أوصي كل مسئول – ولا سيما الملوك والرؤساء – أن يحسنوا اختيار سفرائهم ؛ لأن نجاح الرسالة مرهون بحسن اختيار السفير، ولله دَرّ طرفة بن العبد حيث قال:

إذا كُنْتَ في حاجةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكيمًا ولا تُوصِهِ [٥]

٤ – أن هذه الرسائل صِيْغَتْ بمنتهى الحكمة والمعرفة، فالرسول – ﷺ – يدعو فيها ولا يهدد، ويعرض ولا يفرض، ولا يقلل من مكانة أحد من أولئك الملوك والأمراء، بل يحرص على هدايتهم، ويكتب لهم بألقابهم، وينزلهم منازلهم، ويعترف لهم بملكهم، ويقرر أن سلطانهم في ظل الإسلام باقٍ لهم، ولذا أوصي بالأدب في خطاب المَدْعُوّين، وإنزالهم منازلهم، وحب الخير لهم، واجتناب العنف والغلظة معهم.

---

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: ١٤٤ / محمد الخضري بك / مطبعة الاستقامة / الطبعة الرابعة / ١٣٥٤ هـ، رحمةً للعالمين: ١٤٢، السيرة النبوية: ٢٨٥، ٢٨٦ / أبو الحسن الندوي، الرحيق المختوم: ٣٢٠، عالمية الإسلام ورسائل النبي - ﷺ- إلى الملوك والأمراء: ٩١.

(٢) الروض الأنف: ٧ / ١٤٨ / السهيلي / تحقيق: عمر عبد السلام السلامي/ دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،المصباح المضيّ: ٢ / ١٥٣، السيرة الحلبية: ٣ / ٣٤٥.

(٣) الروض الأنف: ٧ / ١٤٨.

(٤) السيرة الحلبية: ٣ / ٣٥٠.

(٥) ديوان طرفة بن العبد:١٦٥ / من بحر المتقارب / شرح الأعلم الشَّنْتَمْريّ / تحقيق: دريّة الخطيب، لطفي الصقّال / إدارة الثقافة والفنون / دولة البحرين،المؤسسة العربية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ٢٠٠٠م.

٥– أن أسلوب هذه الرسائل كلها قد جمع بين الترغيب والترهيب، ولكن قد يترجّح أحدهما وتعلو نبرته على الآخر تبعًا لاختلاف حال المخاطَب ؛ لأن الأسلوب طبقات كما أن الناس أنفسهم طبقات، فمثلًا نجد الترغيب هو الأغلب في رسالة النبي – ﷺ – إلى النّجاشيّ، ونجد الترهيب هو الأغلب في رسالته إلى كسرى، بل قد كان الترهيب بصورة أوضح مع التلويح باستخدام القوة كما في رسالته إلى جَيْفَر وعَبْد ابني الجُلَنْدى، وذلك ليس اعتداء، وإنما هو ردٌّ للاعتداء، حيث كانت إمارتهما تساند القبائل العربية المحاربة للمسلين كقريش وغيرها.

٦ – أن هذه الرسائل لا تسير على وتيرة واحدة من حيث الطول والقصر – وإن كان الإيجاز هو السمة الغالبة عليها – أو الجنوح إلى أدوات المعجم اللغوي، والبديع والبيان، وغيرها من وسائل التأثير في المخاطب، وكانت تميل إلى مخاطبة الفكر والعقل، وتعتمد على الإقناع والتأثير بالترغيب والترهيب، واستعمال الحجج والبراهين، وبعضها كان أشبه بالبيانات الحربية بما تتسم به من خصائص بنائية ومعنوية.

٧ – لقد نجحت هذه الرسائل في وظيفتها أعظم ما يكون النجاح وأتمه وأكمله، حيث كانت سببًا في انتشار الإسلام في أطراف الجزيرة العربية وخارجها، كما كانت سببًا في إسلام بعض الملوك والأمراء، فأسلم كلٌّ من النَّجاشيّ ملك الحبشة، والمُنْذِر بن ساوَى أمير البحرين، وجَيْفَر وعَبْد ابْنا الجُلَنْدى أميرا عُمان، ودخل الإسلام ثلاثة أقطار من جزيرة العرب، هي البحرين وعُمان واليمن، وشغلت فكر الآخرين الذين لم يسلموا، وبعض هذه الرسائل قد حقق أهدافه لدى مخاطَبيها، وبعضها الآخر لم يلق قبولًا لدى مخاطَبيها، لا لعجز في الوصول إلى غاياتها المرجوّة منها، وإنما لنكوص المخاطَبين بها على أعقابهم، وعدم استجابتهم لداعي الله ﷻ، ومن العظمة أن كان موقف النبي – ﷺ – سلميًّا مع جميع من لم يسلموا، حتى مع من ارتكبوا حماقات كالحارث بن أبي شِمْر الغَسّانيّ أمير دمشق الذي لوّح باستخدام القوة وإعلان الحرب، لكن سيده هِرَقْل ثناه عن غرضه، وكذلك كسرى ملك الفرس الذي وَرِمَ أنفه، واغترّ بسلطانه، ومَزَّق الرسالة، وقال قولته الفاحشة الفاجرة، فمزّق الله – ﷻ –

ملكه، وأذهبه بلا عودة إلى قيام الساعة ؛ ولذا أوصي الدعاة والمرّبين وأرباب الكلمة الطيبة ألا ييأسوا، وأن يكونوا سلميّين مع من يدعونهم.

٨- اصطباغ أسلوب هذه الرسائل بالصبغة الإسلامية، وذلك من حيث الألفاظ، وطرق التعبير، ولا سيّما الاقتباس من القرآن الكريم ؛ ليتلاءم أسلوبها مع مضامينها وأفكارها، ويتناسب جسدها مع روحها، هذا بالإضافة إلى تصديرها كلها بجملة البسملة " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " إيحاءًا وإشعارًا من أول الأمر بأن هذا الدين قائم على الرحمة في الدعوة إليه ولو كان المدعوّ غير مسلم.

٩- أن النبي - ﷺ - بهذه الرسائل مَهَّدَ الطريق، ووَطَّد أسلوبًا جديدًا للدعوة خارج ديار الإسلام، وأوضح السبيل لصورة من صور التعامل الدبلوماسيّ الدولي الذي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.

وهكذا وجدنا أن هذه الرسائل قد تميز أسلوبها بأنه متفرد ملائم لمعانيه، ومطبوع لا تكلف ولا تعقيد ولا التواء فيه، وبليغ في مكانه وسياقه لاقتضاء المقام له، ومطابقته لحال المخاطب به، فقد أحاط الله - ﷻ - نبيه بهذه اللغة، وكشف له عن أسرارها ؛ لكي يؤدي رسالته العظيمة للناس، ويخاطب كل قوم على قدر معرفتهم، ويعد البيان النبوي في ذروة البيان البشري، ذلك أن القوم الذين أرسل إليهم أئمة فصاحة، وأساطين بيان، وهم في خصومته قوم لُدٌّ، وقد نعتوا النبي بأوصاف عديدة كيدًا ومخاصمة، لكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته وبلاغته.

وأخيرًا أدعو الله السميع العليم أن يجعل هذا العمل صالحًا،
ويجعل قصدي به وَجْهَه خالصًا، ويرزقه القبول الحسن في الدنيا والآخرة،
والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلَّم على نبيِّنا وآله وصحبه أجمعين.

# ثبت المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن / السيوطي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م.
٢- أدب الرسائل في صدر الإسلام / د / جابر قميحة / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٣- إرشاد الساري / القسطلاني / المطبعة الكبرى الأميرية / بولاق / مصر / الطبعة السابعة / ١٣٢٣ هـ.
٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / أبو السعود / دار إحياء التراث العربي / بيروت / بدون تاريخ.
٥- أسماء الله وصفاته / عمر سليمان الأشقر/ دار النفائس/ عمّان / الأردن/ الطبعة الثانية/ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.
٦- الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني / تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.
٧- أضواء على البلاغة النبوية / د / إبراهيم طه الجعلي / مكتبة الرشد / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطيعة الأولى / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٨ - الأعلام / الزركلي / دار العلم للملايين / الطبعة الخامسة عشرة / ٢٠٠٢م.
٩- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ / محمد بن طولون الدمشقي / تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٠- أنساب الأشراف / البَلاذُري / تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي / دار الفكر / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / البيضاوي / تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ.
١٢- البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي/ تحقيق: زهير جعيد / دار الفكر/ بيروت / لبنان /١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
١٣- بدائع الفوائد / ابن القيّم / تحقيق: علي محمد العمران / دار عالم الفوائد / مكة المكرمة / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ.
١٤- البداية والنهاية / ابن كثير / تحقيق: د / عبد الله عبد المحسن التركي / هجر/ الجيزة / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٥- بيان التشبيه " دراسة تاريخية فنية " / د / عبد الحميد العيسوي / مطبعة القاهرة الجديدة / الطبعة الأولى / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
١٦- البيان النبوي / د / محمد رجب البيومي / دار الوفاء / المنصورة / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
١٧- تاريخ الإسلام / الذهبي / تحقيق: د / عمر عبد السلام تَدْمُري / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
١٨- التاريخ الإسلامي / محمود شاكر / المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الثامنة / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
١٩- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية / د / محمد سهيل طقّوش / دار النفائس / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
٢٠- تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري /تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / دار المعارف / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ.
٢١- تاريخ الفكر الديني الجاهلي / د / محمد إبراهيم الفيومي / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الرابعة / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٢٢- التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور / الدار التونسية / تونس / ١٩٨٤م.
٢٣- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق / محمد نور الدين المنجّد / دار الفكر / دمشق / سورية، دار الفكر المعاصر / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٢٤- تفسير الشعراوي / محمد متولي الشعراوي / مطابع أخبار اليوم / ١٩٩٧م.
٢٥- تفسير القرآن العظيم / ابن كثير الدمشقي / تحقيق: سامي محمد سلامة / دار طيبة / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثانية / ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
٢٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم / محمد سيد طنطاوي / دار نهضة مصر / الفجالة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٩٩٧م.
٢٧- تهذيب اللغة / الأزهري / تحقيق: محمد عوض مرعب / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / ٢٠٠١م.
٢٨- الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش / دار الكتب المصرية / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.
٢٩- جمهرة أنساب العرب / ابن حزم / تحقيق: لجنة من العلماء / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٣٠- جمهرة رسائل العرب / أحمد زكي صفوت / المكتبة العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧م.
٣١- الجنى الداني / المرادي / تحقيق: د / فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.
٣٢- الجنى الداني في علم المعاني / د / إبراهيم طه الجعلي، د / نجلاء عبد اللطيف كامل كردي / مكتبة المتنبي / الدمام / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
٣٣- حاشية المنياوي على شرح حلية اللب المصون / مخلوف المنياوي / مطبعة الحلبي / ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م.
٣٤- خاتم النبيين / محمد أبو زهرة / دار الفكر العربي / القاهرة / ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
٣٥- دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني / تحقيق: محمود محمد شاكر / مطبعة المدني / القاهرة، دار المدني / جدة / الطبعة الثالثة / ١٣١٤ هـ - ١٩٩٢م.
٣٦- دلالات التراكيب / محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الثانية / ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
٣٧- دولة الرسول - ﷺ - في المدينة / د / صالح أحمد العلي / شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.
٣٨- ديوان ذي الرُّمّة / تحقيق: أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
٣٩- ديوان طرفة بن العبد / شرح الأعلم الشَّنْتَمْريّ / تحقيق: دريّة الخطيب، لطفي الصقّال / إدارة الثقافة والفنون / دولة البحرين،المؤسسة العربية / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ٢٠٠٠م.
٤٠- ديوان علي بن الجهم / تحقيق: خليل مردم بك / دار الآفاق الجديدة / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٤١- رحمةً للعالمين / المنصور فوري / ترجمة: د / سمير عبد الحميد إبراهيم / دار السلام / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / بدون تاريخ.
٤٢- الرحيق المختوم / المباركفوري / دار إحياء التراث / بدون تاريخ.
٤٣- رسائل الرسول - ﷺ - إلى ملوك الدول المجاورة ( النَّجاشيّ - هِرَقْل - كِسْرى ) / نور العبد / بحث منشور في مجلة جامعة البعث / سورية / المجلد: ٣٩ / العدد: ٤١ / سنة ٢٠١٧م.

٤٤- رسائل الرسول - ﷺ - إلى الملوك والأمراء / د / محمد عمر شاهين / بحث منشور في مجلة آداب الرافدين / جامعة الموصل / العدد: ٥٤ / سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٤٥- الرسالة الكبرى في البسملة / محمد علي الصبان / تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، حبيب يحيي المير / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان / ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
٤٦- الرسول المبلغ / د / صلاح عبد الفتاح الخالدي / دار القلم / دمشق / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
٤٧- روح المعاني / الألوسي / تحقيق: علي عبد الباري طه / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٥ هـ.
٤٨- الروض الأنف / السهيلي / تحقيق:عمر عبد السلام السلامي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٩- زاد المعاد / ابن قيّم الجوزيّة / تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
٥٠- زهرة التفاسير / الشيخ أبو بكر الجزائري / دار الفكر العربي / بدون تاريخ.
٥١- سفراء النبي ﷺ / اللواء الركن / محمود شيت خَطّاب / مؤسسة الريان / بيروت / لبنان، دار الأندلس الخضراء / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٥٢- السياسة الإسلامية في عهد النبوة / الشيخ عبد المتعال الصعيدي / دار الفكر العربي / القاهرة / الطبعة الثانية / بدون تاريخ.
٥٣- السيرة الحلبية / علي الحلبي / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٢٧ هـ.
٥٤- السيرة النبوية / أبو الحسن الندوي / دار الشروق / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الثامنة / ١٤٠٩ / ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.
٥٥- السيرة النبوية / ابن هشام / تحقيق: د / عمر عبد السلام تَدْمُري / دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٥٦- شرح أحاديث من صحيح البخاري / د / محمد محمد أبو موسى / مكتبة وهبة / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٥٧- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح الإلهية / محمد بن عبد الباقي الزرقاني / / تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٥٨- صبح الأعشى / القلقشندي / دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢م.

٥٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / الجوهري / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / الطبعة الرابعة / ١٩٩٠م.
٦٠- الطبقات الكبرى / ابن سعد / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
٦١- عالمية الإسلام ورسائل النبي - ﷺ- إلى الملوك والأمراء / د / عبد الوهاب طويلة، د / محمد حلواني / دار القلم / دمشق / بدون تاريخ.
٦٢- عبقرية محمد / عباس محمود العقاد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.
٦٣- علم المعاني / د / بسيوني فيّود / مؤسسة المختار / القاهرة، دار المعالم الثقافية / الأحساء / الطبعة الثانية / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.
٦٤- عمدة القاري / بدر الدين العيني / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٦٥- عيون الأثر / ابن سيد الناس / تحقيق: د / محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو / مكتبة دار التراث / المدينة المنورة، دار ابن كثير / دمشق / بيروت / بدون تاريخ.
٦٦- الغرابة في البيان النبوي / د / محمد أحمد عثمان / دار الطباعة المحمدية / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
٦٧- الفائق في غريب الحديث / الزمخشري / تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر / بيروت / لبنان / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٦٨- فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب / دار المعرفة / القاهرة / بيروت / لبنان / بدون تاريخ.
٦٩- فتوح البلدان / البَلاذُري / دار ومكتبة الهلال / بيروت / ١٩٨٨م.
٧٠- القانون الدبلوماسي القنصلي في الإسلام / د / أحمد أبو الوفا / مكتبة الرشد / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م.
٧١- الكامل في التاريخ / ابن الأثير / تحقيق: عبد الله القاضي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / الطبعة الأولى / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
٧٢- كتاب الصناعتين / أبو هلال العسكري / تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
٧٣- الكشاف / الزمخشري / دار الكتاب العربي / بيروت / الطبعة الثالثة / ١٤٠٧ هـ.
٧٤- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري / الكرماني / دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٧٥- لسان العرب / ابن منظور / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية /١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
٧٦- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة / محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي / دار النفائس / بيروت / الطبعة السادسة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
٧٧- مجموع الفتاوى / ابن تيمية / تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم / مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف / المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية / ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
٧٨- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية / محمد الخضري بك / مطبعة الاستقامة / الطبعة الرابعة / ١٣٥٤ هـ.
٧٩- المحرر الوجيز / ابن عطية الأندلسي / تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٨٠- مختار الصحاح: الرازي / تحقيق: يوسف الشيخ محمد / المكتبة العصرية / صيدا / بيروت / الطبعة: الخامسة / ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨١- مدخل إلى البلاغة النبوية / د /حلمي محمد القاعود / دار النشر الدولي / الرياض / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م.
٨٢- المسلمون والروم في عصر النبوة / د / عبد الرحمن أحمد سالم / دار الفكر العربي / القاهرة / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
٨٣- المِصْباح المُضيّ / ابن حُدَيْدة الأنصاريّ / تحقيق: محمد عظيم الدين / عالم الكتب / بيروت / الطبعة الثانية / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٨٤- معجم الفروق اللغوية / الشيخ / بيت الله بيات / مؤسسة النشر الإسلامي / الطبعة السادسة / ١٤٣٣ هـ.
٨٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب / مجدي وهبة، كامل المهندس / مكتبة لبنان / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٩٨٤م.
٨٦- معنى: " لا إله إلا الله " / الزركشي / تحقيق: علي محيي الدين علي القره داغي / دار الاعتصام / القاهرة / الطبعة الثالثة / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٨٧- مفاتيح الغيب / الرازي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان / الطبعة الثالثة / ١٤٢٠ هـ.
٨٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / د / جواد علي / دار الساقي / بيروت / لبنان / الطبعة الرابعة / ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٨٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / النووي / دار إحياء التراث العربي/ بيروت / الطبعة الثانية / ١٣٩٢هـ.

٩٠- مواد البيان / علي بن خلف الكاتب / تحقيق: د / حاتم صالح الضامن / دار البشائر / دمشق / سورية / الطبعة الأولى / ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٩١- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية / القسطلاني / المكتبة التوفيقية / القاهرة / بدون تاريخ.
٩٢- موسوعة التاريخ الإسلامي / د / أحمد شلبي / مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الرابعة عشرة / ١٩٩٦م.
٩٣- نصب الراية / الزَّيْلَعيّ / تحقيق: محمد عوامة / مؤسسة الريان / بيروت / لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية / جدة / المملكة العربية السعودية / الطبعة الأولى / ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
٩٤- النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية / الأب لويس شيخو اليسوعي / دار المشرق / بيروت / لبنان / الطبعة الثانية / ١٩٨٩م.
٩٥- نظم الدرر / البقاعي / دار الكتاب الإسلامي / القاهرة / بدون تاريخ.
٩٦- النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي / المكتبة العلمية / بيروت / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٩٧- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى / ابن قيّم الجوزية / تحقيق: عثمان جمعة ضميرية / دار عالم الفوائد / مكة المكرمة / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ.
٩٨- وحى الرسالة /أحمد حسن الزيات/دار الثقافة/ بيروت/لبنان/الطبعة السادسة/١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٩٩- الوفا بأحوال المصطفى / ابن الجوزي / تحقيق محمد زهري النجّار / المؤسسة السعدية / الرياض / المملكة العربية السعودية / بدون تاريخ.